جزء
٣

# أسرار النفس البشرية

بقلم

سيد تقي سيد حسين الموسوي

حفظه الله

# أسرار النفس البشريّة
## الجزء الثالث

للمؤلف
سيّد تقي سيّد حسين الموسوي
حفظه الله

www.taqimusawi.com
0096899419461
صندوق البريد ٩٢٠
الرمز البريدي ١١٤
سلطنة عُمان

# المصادر


- كتاب معاذلة النفس وهي صحيفة من صحف نبيّ الله إدريس عليه السلام
- كتاب الزوايا الحياتيّة الخفيّة للشيخ صادق العنقا قدّس سرّه الشريف
- كتاب هكذا تكلّم عيسى عليه السلام للمؤلف سيّد تقي الموسوي
- كتاب وحدة الإرادة في الوجود للمؤلف سيّد تقي الموسوي
- كتاب السموات السبع للمؤلف سيّد تقي الموسوي
- كتاب ما هو سرّ الحياة للمؤلف سيّد تقي الموسوي
- كتاب قدوة الفقهاء والعارفين للمؤلف سيّد تقي الموسوي
- نهج الفصاحة
- مرآة العقول
- بحار الأنوار
- مستدرك الوسائل
- الأمالي للطوسي
- تحف العقول
- روضة الكافي
- أصول الكافي
- الأمالي للمفيد

# المحتويات

المصادر ..... ٤

المحتويات ..... ٥

العرفان بالجميل ..... ٨

المقدّمة ..... ٩

اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك ..... ١٩

مفاسد الشبق والشهوات ..... ٢٣

عجائب الإنسان والأرض والكون ..... ٢٧

الإنسان وحدة حيّة ..... ٣٣

الجينات المكتسبة في الإنسان ..... ٣٧

الإنسان هو الروح ..... ٣٩

الكاميرات التي تصوّر الهالات المغناطيسية ..... ٤٣

الخازنات المغناطيسية في بدن الإنسان ..... ٤٨

الجينات نسخة عن الأنوار ..... ٥٢

فضل العلم والعشق ..... ٥٤

ضعوا كنوزكم في السماء ..... ٥٨

يا نفس لا تحملي أوزار الدنيا ..... ٦٢
ابغني عند وسادك تجدني ..... ٦٥
يا نفس لا تحملي وزر النوم ..... ٧٠
يا نفس لا تحملي وزر الشهوة ..... ٧٤
النظرة تزرع الشهوة ..... ٧٨
السير والسلوك ..... ٨١
الأرض وحدة حيّة ..... ٨٧
روعة الأرض ونظرية جايا ..... ٩٣
وفيك انطوى العالم الأكبر ..... ١٠٠
النفس المطمئنة الخالدة ..... ١٠٤
يا نفس لماذا أفسدتك الدنيا ..... ١٠٩
هوشع وكتاب موسى ..... ١١٥
الكون وحدة حيّة ..... ١٢٠

# العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب (أسرار النفس البشريّة)، وأيضًا كتبي السابقة (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) و (ورفعناه مكانًا عليًّا) و(بوذا ونور الملكوت) و(هكذا تكلّم الله على لسان داود) و (هكذا ناجى داود ربه) و (كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي) و (كتاب المباني الأساسيّة للطريقة الأويسيّة) الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنّه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربيّة المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كلّ قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

# المقدّمة

يقول الله تعالى[1] : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا }.

ويقول الله سبحانه وتعالى[2] : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ كلام الله دائم مستديم، وكلماته لا تنفد. وهو يكلّم البشر دائمًا أبدًا، لم يتوقّف عن الكلام طرفة عين، فهو يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، ويقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولا يضمر، يحبّ ويرضى من غير رقّة، ويبغض ويغضب من غير مشقّة، يقول لمن أراد كونه: <<كن فيكون>>، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! لا تكثري الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله، قاسية قلوبهم، ولكن لا يعلمون. لا تنظري إلى عيوب الناس، ولكن انظري في خلاص نفسكِ، فإنّما أنتِ عبدة مملوكة.

---

[1] سورة الكهف الآية ١٠٩

[2] سورة الشورى الآية ٥١.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ الحكيم قليل الكلام، ولكنّه إذا تكلّم عن الله، وعن خلاص النفس وفلاحها، ملأ السموات والأرض كلامًا، ولو جعلت له البحار مدادًا والأشجار أقلامًا وأوراق الأشجار وجلود الحيوانات صحائف، لملأها كلامًا، بلا ملل ولا كلل.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ لو أنّي جعلتُ البحار لي مدادًا لكلمات ربّي، أكثر الكلام فيها في ذكر ربّي، ولو أنّي جعلتُ الأشجار لي أقلامًا، ولو أنّي جعلتُ لي أوراق الأشجار صحائف، أكتبُ فيها ذكر ربّي، وأكثر الكلام فيها في ذكر ربّي، ولو أنّي ملأتُ السموات والأرض من حمد الله وثنائه وتسبيحه وتهليله، وأكثرتُ الكلام فيها في ذكر ربّي، لما كان ذلك شيء يستحقّ مثقال ذرّة من نعم الله وآلائه التي أغدقها عليّ، ولنفدت البحار قبل أن تنفد كلمات ربّي، ولنفدت الأشجار وأوراقها قبل أن تنفد كلمات ربّي، ولضاقت السموات والأرض لسعة كلمات ربّي.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ لو أنّي جعلتُ البحار لي مدادًا لطرق خلاص نفسي وفلاحها، أكثر الكلام فيها عن طرق خلاص نفسي وفلاحها، ولو أنّي جعلتُ الأشجار لي أقلامًا، ولو أنّي جعلتُ لي أوراق الأشجار صحائف، أكتبُ فيها عن طرق خلاص نفسي وفلاحها، وأكثر الكلام فيها عن طرق خلاص نفسي وفلاحها، ولو أنّي ملأتُ السموات والأرض من طرق خلاص نفسي وفلاحها، وأكثرتُ الكلام فيها عن طرق خلاص نفسي وفلاحها، لكان ذلك شيء يسير، لما تستحقّه النفس من مناصحة ومعاذلة وموعظة وتعنيف ونصيحة، وتوجيه اللوم والتوبيخ لها على آثامها وذنوبها ومعاصيها، ولنفدت البحار قبل أن تنفد طرق خلاص نفسي وفلاحها، ولنفدت الأشجار وأوراقها قبل أن تنفد طرق خلاص نفسي وفلاحها، ولضاقت السموات والأرض لسعة طرق خلاص نفسي وفلاحها.

وما ذلك يا نفسُ ! إلّا لصعوبتكِ ورعونتكِ وضرورة الخلاص والفلاح قبل أن ينزل بكِ الموت، حتى تتحاشي عذاب النار، وتعيشي يا نفسُ ! حياةً سعيدةً هنيئةً في دار الخلود، في جوار الأنبياء والأوصياء والأئمّة الأطهار والصدّيقين والقدّيسين والأولياء ورجال الله الصالحين.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! تهذّبي من أوزار الدنيا. استثمري هذه الفترة القصيرة من عمركِ في استكشاف الجوهر الربّاني الذي فيكِ، فلا تفوتنّكِ هذه الفرصة الثمينة التي هي فرصة الدنيا، والتي هي مزرعة الآخرة.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! أهمّية الدين هو بسبب معرفة الله جلّ وعلا، ولن تناليها يا نفسُ ! إلّا بمعرفة النفس وخباياها وأسرارها، وأنا معكِ يا نفسُ ! أرشدكِ في هذا الطريق الوعر، وأضع النقاط على الحروف، وأدلّك على عيوبكِ، التي تحجبك عن الله وقربه وزلفاه.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ إنّكِ لم تُخلقي عبثًا ولم تُرسلي هملًا، استفتحي الله واستنجحيه واستمنحيه، فما بينكِ وبينه حجاب، ولا يثلمه عطاء، ولا ينقصه حباء. بذله وعطاؤه وجوده وكرمه لا نهاية له. وكلّ هذا فيكِ، لا في غيركِ، فاستكشفيه يا نفسُ ! فمنه الفتح، ومنه النجاح والفلاح، ومنه المنحة والهبة والعطاء، وهو الجوهر وهو الملأ الأعلى وهو الدائم الباقي، وكلّ شيء غيره مظاهر وتجلّيات ليس إلّا، أراد أن يتجلّى فقال: <<كن فكان>>.

هو الذي لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، ولم يلد فيكون مولودًا، ولم يولد فيصير محدودًا، جلّ عن اتّخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواسّ فتحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه، ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدّل في الأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض. ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! انفذي ببصركِ إلى أعماق الوجود، ولا تنشغلي بالمظاهر، فتنسي المظهر الذي أظهرها وخلقها، ولا تنشغلي بالعطايا، فتنسي المعطي الذي وهب وأعطى، وعلّم عباده المقرّبين البرّ والإحسان والبذل والعطاء.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! اخدمي الله تخدمكِ الدنيا، وإن خدمتِ الدنيا أتعبتكِ. ولا يحتاج هذا الأمر إلى دليل وبرهان، فهو ظاهر للعيان كظهور الشمس في وضح النهار.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! اخدمي المعطي ولا تخدمي العطايا، واخدمي الوهّاب ولا تخدمي الهبات. إنّ العقل يقول ذلك: فكيف تخدمين الفلس وتهملين المعطي الوهّاب، الذي عنده الملايين الملايين من خزائن الدنيا والآخرة !

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! اِلتجئي إلى الدعاء كي تتحكّمي في شهواتكِ.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ حذار حذار يا نفسُ ! من الشبق البغيض الكريه المقيت، الذي يمسخ الإنسان، ويجعله كالبهائم الوحشيّة الشرسة ! إنّ عدوّكِ معكِ يصاحبكِ حيثما ذهبتِ. فلو لم يكن الشبق الداخلي موجودًا في القلب، لما ارتمى الإنسان في أحضان الشهوات، لأنّ الجذور إذا أزيلت، ماتت الشجرة سريعًا.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! يجب عليكِ أن تدرئي عن نفسكِ الإغراءات الخارجيّة، وتخشي حواسكِ، لأنّ فيها رغبة ملحّة للقذارات والوساخات والنجاسات. وكيف تدافعين عن نفسكِ، وأنتِ لا تستطيعين إلجام بصركِ، الذي هو منبع الشهوات الجنسيّة ؟

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! لا تضيّعي على نفسكِ فرصًا سعتها كسعة السموات والأرض، بل أكثر من ذلك بكثير ! وهذه فرصكِ يا نفسُ ! في هذه الحياة الدنيا، ولن تنالي مثل هذه الفرص العظيمة في نشأة الآخرة التي هي نشأة الحصاد فقط.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! حينما تفشل الأدوية والأعشاب من شفاء المريض، فإنّ الحالات الروحيّة العليا، التي تتكهرب بها الهالة المغناطيسيّة للإنسان، تشفي المرض حتمًا في كثير من الأحيان. فالمهمّ أن يكون المريض متّصلًا بخزانة الإيمان التي لا تنفد، وبالفيض الوجودي الذي يملأ الفضاء والكون.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ الإنسان هو (الأنا) الكامن فيه - سمّيه الرّوح أو الإرادة أو (الأنا) أو غير ذلك من الأسماء - والجسد بكلّ أعضائه وجوارحه وخلاياه إنّما هي أدواته لتسيير هذه الحياة القصيرة، وهي أشياء في مستطاع البشر أن يراها في الوقت الحاضر بالعين المجرّدة، أو بالأجهزة التي توصّل إليها حتى الآن. وما أكثر ما لم يتوصّل إليه البشر !

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ الجسد إنّما هو نسخة من الأصل، أو ظلّ للحقيقة، أو انعكاس عن الواقع. والأصل هو الهالة المغناطيسيّة للإنسان أو المضاعف الأثيري، وحريّ بنا أن نبحث عن الواقع وعن الحقيقة وعن الأصل.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! ولوجود الهالة المغناطيسيّة حول الإنسان، توجد في الإنسان ثلاثة عشرة نقطة في بدنه، أو بالأحرى ثلاثة عشرة خازنة مغناطيسيّة، هي في ارتباط دائم مع جريانات كهرباء الوجود وهي: الحفرة الشمسيّة - مخّ الإنسان - النقطة الحياتيّة النورانيّة في القلب - الحفرة بين الحاجبين - عَجْبُ الذَّنَبِ- نقطة في اللهاة - نقطة في رأس بصل النخاع - خازن

في العين للرؤية - خازن في الأذن للسماع - خازن في اللسان للنطق - خازن في الأنف للشمّ - خازن في الطبقة الجلديّة للمس - الغدد اللمفاويّة.

لقد قال حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: << قَلبٌ لَيسَ فيهِ شَيءٌ مِنَ الحِكمَةِ كَبَيتٍ خَرِبٍ، فَتَعَلَّموا وعَلِّموا، وتَفَقَّهوا ولا تَموتوا جُهّالًا، فَإِنَّ اللهَ لا يَعذِرُ عَلَى الجَهلِ>>، وقال صلوات الله تعالى عليه وآله: <<مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ>>. وقال صلوات الله تعالى عليه وآله: << خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ>>.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: <<هلك من لم يكن له حكيم يرشده>>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: << ما شيبَ شيءٌ بشيءٍ أَحسن مِن حِلمٍ بعلمٍ >>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: <<لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُورِثُ أَهْلَ بَيْتِهِ الْعِلْمَ وَ الْأَدَبَ الصَّالِحَ حَتَّى يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ جَمِيعاً>>. وقال عليه السلام: <<لستُ أُحبُّ أن أرى الشاب منكم إلاَّ غادياً في حالين: إمَّا عالماً أو متعلِّماً>>.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! اكتسبي الحكمة فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا. يا نفسُ ! انفذي في خباياكِ وأعماقكِ وامسحي الجهل مسحًا من ثناياها، فإنّ الله لا يعذر على الجهل. يا نفسُ ! اعملي بما تعلمين يورّثكِ الله علم ما لم تعلمي.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّك حقًّا من المجانين لو لم تسلّمي كلّ حواسكِ لله، كي يشتري روحكِ، حيث يستقرّ كنز العشق، لأنّ العشق كنزٌ لا يضاهيه أي كنز. من أحبّ الله وعشقه كسب الله، ومن كسب الله كسب كلّ شيء.

أقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! كلّ ما تمتلكينه هو من الله، وهو الذي وهبكِ إياه. قولي لي: أيّها أغلى وأعلى قيمة: الهبة أم الواهب ؟ يا نفسُ ! دعي الهبات والتصقي بالواهب، ولا تصغي إلى وساوس الشيطان.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! صلي من قطعكِ، وأعطي من منعكِ، وأحسني إلى من أساء إليكِ، وسلّمي على من سبّكِ، وأنصفي ممّن خاصمكِ، واعفي عمن ظلمكِ، كما أنكِ تحبّين أن يعفى عن إساءتك، فاعتبري بعفو الله عنكِ.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ قلبكِ بحيث تكون كنوزك، وكذلك الناس يحبّون أموالهم، وتتوق إليها أنفسهم، فضعي كنوزكِ في السماء، حيث لا يأكلها السوس، ولا ينالها اللصوص.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار. ألم تعلمي أنّه من شمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلّ تحته وأكنّه، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! لقد قلتُ لكِ أنتِ صعبةً جدًّا، لا تقوّمكِ النصيحة ولا الموعظة، ولذلك لا بدّ من السير والسلوك، والدخول في فرن التربية العرفانيّة والرياضات الصعبة، حتى تولدي من جديد. فلقد قال عيسى عليه السلام: <<لا يدخل ملكوت الله من لم يولد مرتين>>.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إنّ الله لا يريد منّا شيئًا، غير أن نوجّه اللوم والتوبيخ لأنفسنا على آثامنا وذنوبنا ومعاصينا.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ إذا أردتِ أن تعملي عملًا صالحًا فعليكِ بنفسكِ، لا يضرّكِ من ضلّ إذا اهتديتِ، ولا ينفعك أن تربحي العالم كلّه، ثمّ تخسري نفسكِ.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! إذا مشيتِ فانظري فقط إلى قدميكِ، وغضّي الطرف عن كلّ شيء سواكِ، وإذا تكلّمتِ فامسكي لسانكِ إلّا عمّا هو ضروري، وإذا أكلتِ الطعام، فقومي عن المائدة وأنتِ لا زلتِ جائعة، واعملي لآخرتكِ كأنكِ تموتين غدًا، واقضي وقتكِ شاكرة، مع كلّ زفرة وشهقة من نفسكِ، وابغضي نفسكِ فقط لا غير، واستنكري وذمّي نفسكِ فقط لا غير، وقفي في الصلاة في خشية من ربّكِ، كما أنّك أمام الله في يوم القيامة. وإذا فعلتِ ذلك سوف تجدين الله، بحيث أنّكِ في كلّ مكان وزمان، ستشعرين بأنّكِ في الله وأنّ الله فيكِ.

وأقول لـ نفسي ـ وهي تستحقّ ذلك ـ يا نفسُ ! انزعي لباسكِ الكدر، وخفّفي الحمل، وتخفّفي من علائقكِ بأوزاركِ الماديّة الناسوتيّة، وأبرزي جوهركِ. كنتِ في عالم الوحدة والأنس والسرور في الملأ الأعلى، ثمّ أهبطكِ الله إلى الملأ الأدنى، وعالم الناسوت، لحكمة عظيمة، كي يبلوكم أيّكم أحسن عملًا.

يا نفسُ ! كنتِ في عالم القدس وفي حضرة الأنس بالله، وإنّ آثار الأنس بالله لا زالت باقية فيكِ، ولو لم تكن فيكِ، لما اشتقت إلى الحكمة، والتي هي أخبار عالم القدس والأنس بالله، التي كنتِ فيها.

يا نفسُ ! إنّ آثار الأنس بالله باقية فيكِ، رغم أنّكِ بالعقل لا تعلمين بأنّكِ كنتِ في عالم آخر، في حين من الأحيان، وهو عالم القدس وفي حضرة الأنس.

يا نفسُ ! كنتِ في عالم وحدة الوجود، حيث لا وجود إلّا لله، لمن المُلك اليوم لله الواحد القهّار، ثمّ نزلتِ إلى هذه الأرض المليئة بنكد العيش والكدورات المخالفة لجوهركِ.

يا نفسُ ! أنتِ النور الذي وقع في قفص المادة، فيا ترى متى الخلاص ومتى الفلاح !

يا نفسُ ! أنتِ الفقر المطلق والعجز المطلق والنور الذي انبثق من نور الله، بيد أنّكِ في مقامكِ الحالي لا تدرين ذلك، ولكنّكِ تحنّين إليه، وما أعظم من حنين ! وما حنين العبد لربّه إلّا علامة انتمائه لله !

يا نفسُ ! فيكِ انطوى العالم الأكبر، وأنتِ الكتاب المبين، وأنتِ الداء وأنتِ الدواء.

المؤلف

سيّد تقي سيّد حسين الموسوي

الموافق لـ ٢٧ / ١ / ٢٠١٦

# اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك

يقول نبيّ الله إدريس عليه وعلى نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل الصلوات والسلام والتحيّات في الفصل الثاني:

فما دُمْتِ يا نفسُ ! في عالم الطبيعة فلا تطلبي منه لذّة ولا تتشاغلي بمحسوسٍ عن التعلّم والتصوّر والتمثّل والبحث والاستكشاف لجميع ما قصدت له من مطالبكِ وآرابكِ لتُكْفَيْ العودة والرجوع إلى اكتساب العلم.

يا نفسُ ! ما دمتِ في عالم الطبيعة فلا تطلبي منه لذّة. واعلمي أنّ الطبيعة مع لذّاتها هي الدنيا بعينها، فكما أنّ الدنيا تتعبكِ إن خدمتها، وتخدمكِ إن خدمتِ الله، كذلك لذّات الطبيعة تتعبكِ إن طلبتها، وتطلبكِ إن طلبتِ الله.

فلا تطلبي لذّة الدنيا، ولكن اطلبي والتمسي واخدمي الله المعطي الوهّاب القادر على كلّ شيء وخالق كلّ شيء. فوالله إن فعلتِ ذلك، فإنّ اللذّات تسعى إليكِ سعيًا على الرأس لا سعيًا على القدم، وتقبل عليكِ بكلّ قواها وبكلّ بركاتها، لا سلبيّات فيها، كما هي في حال أنّكِ تطلبينها وتخدمينها وتتشوّقين إليها.

هي والله التي تطلبكِ، وهي التي تخدمكِ، وهي التي تتشوّق إليكِ ! فلا تعجبي من أمر الله، إنّه ناموس الله، إنّه قانون الله، ذكره الله تعالى في الحديث القدسي:<<أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا: اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ>>.

كذلك لذّات الدنيا ولذّات الطبيعة ولذّات الشهوات ولذّات الغرائز. إن كنتِ في خدمة الله تتدفّق وتتفجّر الشهوات والغرائز الطيّبة الحلال في الإطار الشرعي من حياتكِ، من كلّ وجودكِ. وهذا هو سرّ قوّة الشهوات عند رجال الله، لأنّهم يحفظون طاقاتهم في فكرهم في قولهم في عملهم في نهجهم، ولا يبعثرونها سدى.

يا نفسُ ! أمّا إذا أطلقتِ الحبل على غاربه، ولم تستطيعي إلجام الشبق والشهوات، فالويل لكِ! فأنتِ لا تتحكّمين في شهواتكِ، فالجأي يا نفسُ ! إلى الدعاء كما قال عيسى عليه السلام في كتابي (هكذا تكلّم عيسى عليه السلام):

الدعاء مدافع عن الرّوح، وهو دواء الرّوح، ودفاع القلب، وسلاح الإيمان، ولجام الحواس. وهو بمثابة ملح اللحوم، فكما يحفظ الملح اللحوم من الفساد والتعفّن، كذلك الدعاء يحفظ الرّوح من تعفّن المعاصي.

وأقول لكم إنّ الدعاء والمناجاة هي أيادي الحياة، والتي بواسطتها سوف يدافع الإنسان عن نفسه في يوم القيامة. إنّ الدعاء على هذه الأرض يغيظ الشيطان ويحفظ الرّوح من الذنوب والآثام، ويحفظ القلب من أن لا تمسّه الشهوات والرغبات. لأنّ الدعاء يضع الحواس في إطار قانون الله، ويتسبّب في أن يبقى الإنسان بارًّا صالحًا مستقيمًا عادلًا مقسطًا قويمًا، يتلقّى من الله سبحانه وتعالى استجابة لكلّ ما يسأل الله في دعائه.

بحقّ الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، إنّ الرجل من دون دعاء ومناجاة، لا يستطيع أن يعمل عملًا صالحًا، ولا يستطيع أن يبقى في الباقيات الصالحات.

بالله عليكم كيف يدافع الأبكم عن قضيته أمام الأعمى، وكيف يبرأ الناسور من دون مرهم ودهان، وكيف يدافع الرجل عن نفسه من دون حركة، وكيف يهاجم الرجل الآخر من دون أسلحة، وكيف تبحر السفينة من دون سكّان ودفّة، وكيف يحفظ الرجل اللحم الميّت من دون ملح !

الحقّ أقول لكم: إنّ إنسانًا من دون يد، لا يستطيع أن يتناول أو يقبض شيئًا.

حذار حذار يا نفسُ ! من الشبق البغيض الكريه المقيت، الذي يمسخ الإنسان، ويجعله كالبهائم الوحشيّة الشرسة ! إنّ عدوّك معكِ يصاحبكِ حيثما ذهبتِ.

# مفاسد الشبق والشهوات

يقول عيسى عليه وعلى نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل الصلوات والسلام والتحيّات:

[1] دع الإنسان يقول لي، ماذا أتى به معه إلى هذا العالم، حتى يعيش هنا في كسل ؟ لقد ولد عريانًا عاجزًا عن فعل أي شيء. وهو ليس مالك أمواله وممتلكاته، بل مجرّد متصرّف في ممتلكاته وأمواله. وسوف يحاسب على ذلك في يوم الجزاء المهول المخيف المريع الفظيع.

حذار حذار من الشبق البغيض الكريه المقيت، الذي يمسخ الإنسان، ويجعله كالبهائم الوحشيّة الشرسة ! إنّ عدوّك معكِ يصاحبكِ حيثما ذهبتِ. كم من الناس قد هلكوا بفعل الشهوات ! لقد أنزل الله عذاب الطوفان بسبب الشبق والشهوات، بحيث أنّ العالم قد هلك، قبل أن تنزل رحمة الله، ولم يعش ولم يبق على قيد الحياة غير نوح و ٨٣ من البشر.

وبسبب الشبق والشهوات، أغرق الله ثلاثة مدن شريرة وخبيثة، ولم ينج إلّا لوط واثنان من أولاده. وبسبب الشبق والشهوات، أبيدت قبيلة بنيامين جميعها.

والحقّ أقول لكم: لو أنّي قصصت عليكم كم من الأقوام قد تلاشوا واضمحلّوا بسبب الشهوات، لما كفاني لذلك مدّة خمسة أيام.

فقال جيمس: أيّها المعلّم ماذا يعني الشبق ؟

---

[1] من كتابي (هكذا تكلّم عيسى عليه السلام).

أجاب عيسى عليه السلام: الشبق هو الرغبة الجنسيّة الملحّة، الغير المكبوح جماحها. ولأنّ العقل والمنطق لا يلجمها، ولا يستطيع توجيهها، فإنّها تتجاوز حدود العقل والعاطفة، بحيث أنّ الإنسان ينسى نفسه، ويحبّ الشيء الذي ينبغي له أن يكره ويبغض.

صدّقوني إنّ الإنسان ليُعتبر زانيًا، ومرتكبًا للفاحشة، إذا أحبّ شيئًا، وكأنّه مالك ذلك الشيء، لا كأنّ الله قد أعطاه وخوّله إياه. لأنّ الرّوح الذي ينبغي أن يرتبط بخالقه ارتبط بالمخلوق.

ولذا ينوح الله على الإنسان ويبكي وينتحب ويرثي ويندب على لسان أشعياء النبي قائلًا: لقد ارتكبت الزنا مع الكثيرات من العشيقات. ورغم ذلك ارجع إليّ واندم وتب، لأنّني سأرحّب بك.

بحقّ الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، لو لم يكن الشبق الداخلي موجودًا في القلب، لما ارتمى الإنسان في أحضان الشهوات، لأنّ الجذور إذا أزيلت، ماتت الشجرة سريعًا.

فليُقنع الإنسان نفسه بزوجته، التي أعطاه الله إياها، ولينس غيرها من النساء.

فسأل اندرو: وكيف ينسى الإنسان النساء، إذا كان يسكن المدينة حيث هناك الكثيرات من النساء ؟

أجاب عيسى عليه السلام: يا اندرو إنّه من الأكيد، أنّ المدينة تضرّ بساكنيها، لأنّها كالإسفنج تمتصّ كلّ الآثام، وتجذب إليها كلّ الشرور. إذا كان الإنسان يعيش في المدينة، فينبغي له أن يكون مثل الجندي، الذي يعيش في القلعة المحاطة بالأعداء، حيث لزم عليه أن يدافع عن نفسه، ضدّ أيّ هجوم خارجي، ويخشى دائمًا خيانة المواطنين، الذين هم داخل القلعة، ويأخذ منهم حذره.

يجب عليه أن يدرأ عن نفسه الإغراءات الخارجيّة، ويخشى حواسه، لأنّ فيها رغبة ملحّة للقذارات والوساخات والنجاسات. وكيف يُدافع عن نفسه، وهو لا يستطيع إلجام بصره، الذي هو منبع الشهوات الجنسيّة ؟

بحقّ الحي الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، من كان بلا عينين، لا يتلقّى العقاب إلّا إلى الدرجة الثالثة، في حين أنّ الذي له عينين، يتلقّى العقاب إلى الدرجة السابعة.

# عجائب الإنسان والأرض والكون

يا نفسُ ! لا تتشاغلي بالمحسوسات عن الجوهر. تعلّمي وابحثي واستكشفي وتفحّصي ودقّقي في كلّ العلوم، بحيث يكون هدفكِ استكشاف الجوهر، وهو حقيقة الأشياء وكنهها.

يا نفسُ ! إذا تفحّصتِ بدن الإنسان ترنّ العجَب العجَاب من عَلائِقِ مَجارِي نُورِ البَصَرِ، وَ أَسارِيرِ صَفْحَةِ الجَبِينِ، وَ خَرْقِ مَسارِبِ النَفْسِ، وَ خَذارِيفِ مارِنِ العِرْنِينِ، وَ مَسارِبِ صَماخِ السَمْعِ، وَ ما ضُمَّتْ وَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الشَفَتان، وَ حَرَكاتِ لَفْظِ اللِسانِ، وَ مَغْرِزِ حَنَكِ الفَمِ وَ الفَكِّ، وَ مَنابِتِ الأَضْراسِ، وَ بُلُوغِ حَبائِلِ بارِعِ العُنُقِ، وَ مَساغِ المَطْعَمِ وَ المَشْرَبِ، وَ حَمالَةِ أُمِّ الرَأْسِ، وَ جُمَلِ حَمائِلِ حَبْلِ الوَتِيْنِ، وَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُ الصَدْرِ، وَ نِياطُ حِجابِ القَلْبِ، وَ أَفْلاذُ حَواشِي الكَبِدِ، وَ ما حَوَتْهُ شَراسِيفُ الأَضْلاعِ، وَ حِقاقُ المَفاصِلِ، وَ أَطْرافُ الأَنامِلِ، وَ قَبْضُ العَوامِلِ، وَ الدَمِ وَ الشَعْرِ، وَ البَشَرِ وَ العَصَبِ، وَ القَصَبِ وَ العِظامِ، وَ المُخِّ وَ العُرُوقِ[1] ، والشرايين والأوردة، والقلب والدورة الدمويّة العجيبة، ومليارات المليارات من الخلايا، ومليارات المليارات من الفيروسات والبكتريا والجراثيم، وغيرها الكثير الكثير.

إلّا أنّكِ سوف تعجبين يا نفسُ ! إذا عرفتِ أنّ كلّ هذه المليارات المليارات من الجوارح والأعضاء تعمل كجسم واحد، في تنسيق عجيب وتناغم غريب. حتى أنّ كلّ خليّة من هذه المليارات المليارات من الخلايا تشبهكِ يا نفسُ ! في مزاجكِ، إن كنتِ عبوسة كانت كلّ واحدةٍ منها عبوسة، وإن كنتِ مرحة كانت كلّ واحدة منها مرحة ! يا لعظمة الله جلّت قدرته !!!

[1] مقتبس من كلام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

يا نفسُ ! لا تتشاغلي بالعطايا، بل ركّزي كلّ وجودكِ في المعطي الوهّاب خالق المحسوسات والعطايا سبحانه وتعالى. إنّ العقل يقول هذا. فكيف تنشغلي بمائة في حين أنّك في حضرة المُعطي الذي يملك المليارات !

أين عقلكِ يا نفسُ ! لا تضيّعي على نفسكِ فرصًا سعتها كسعة السموات والأرض بل أكثر من ذلك بكثير ! وهذه فرصكِ يا نفسُ ! في هذه الحياة الدنيا، ولن تنالي مثل هذه الفرص العظيمة في نشأة الآخرة التي هي نشأة الحصاد فقط.

هو المُعطي الوهّاب خالق السموات والأرض ، والذي وصفه مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

<<سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ ، بِتَشْعِيرِهِ[١] الْمَشَاعِرَ[٢] عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ[٣] ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ[٤] ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ[٥] ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ[٦] ، وَالْحُرُورَ بِالصَّرَدِ[٧]، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[٨] ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا[٩] ،مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا[١٠] ، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[١]>>.

---

(١) بتشعيره: اعداده لها، و لما يصلح كل منها

(٢) الحواس.

(٣) لا مشعر له : لعدم مشابهته لخلقه.

(٤) ضاد النور بالظلمة: جعل أحدهما مزيلًا للآخر.

(٥) والوضوح بالبهمة : البياض بالسواد.

(٦) والجمود بالبلل :اليبوسة بالرطوبة.

(٧) والحرور بالصرد : الحرّ بالبرد .

(٨) مؤلف بين متعادياتها: مؤلف بين مختلفاتها مع ما فيها من تضاد.

(٩) مقارن بين متبايناتها: جامع بين مغاياراتها.

(١٠) مقرّب بين متباعداتها : كجمعه في الجسم الواحد بين الأمور المتضادة.

وفي مكان آخر:

<<الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاء ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ ، لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ[٢] ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ،وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ.

وفي مكان آخر:

لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ[٣] ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ، يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[٤] ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً.

---

(١) مفرّق بين متدانياتها : كتفريقه بين الروح و البدن بالموت.

(٢) تقدّره: تقيسه .

(٣) بوالج: بداخل.

(٤) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

وفي مكان آخر:

وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ[1] وَالِانْفِرَاجِ[2] ، أَرْسَى أَوْتَادَهَا[3] ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا[4] ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا[5] ، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا[6] ، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

وفي مكان آخر:

خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا، وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا[7] وَسَائِمِهَا[8] ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ[9] أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا[10] ، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ

---

(1) السقوط.

(2) الانفراج: التشقّق.

(3) المسامير.

(4) جعل السدود.

(5) أجرى عيونها.

(6) شقّها.

(7) المُراح (بالضمّة) من البهائم التي تأوي بالليل إلى أوكارها.

(8) والسائم من البهائم التي ترتع في المراتع.

(9) الغبيّة.

(10) الذكيّة.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ[1] ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وفي مكان آخر:

وِاعْلَمُوا عِبَادَ اَللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً[2] ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ وَ اِسْتَنْجِحُوهُ، وَ اُطْلُبُوا إِلَيْهِ وَ اِسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَ لاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَ إِنَّهُ إِنْهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ، وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍّ، لاَ يَثْلِمُهُ اَلْعَطَاءُ، وَ لاَ يَنْقُصُهُ اَلْجِبَاءُ[3] ، وَ لاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَ لاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ[4] .

---

(1) عجزت.

(2) لم يخلقكم مهملين.

(3) جوده وكرمه عزّ وجلّ.

(4) بذله وعطاؤه جلّ وعلا.

# الإنسان وحدة حيّة

[1] شاءت الإرادة أن توجد ظاهرتها المشهودة المحسوسة الملموسة، وكانت هذه الظاهرة هو الإنسان بكلّ عناصره التي تشكّل هذه الوحدة الحيّة. وليس بين هذه الوحدة الحيّة وبين الإرادة التي أوجدتها فرق، اللهم إلّا أنّ الإرادة جوهرها، وأنّ الإنسان لا يرى الإرادة ولا يلمسها، ولكنّه يرى أبناء جنسه المشهودين المحسوسين الملموسين ويحسّهم ويلمسهم. وفي الحقيقة فإنّ الإرادة أوجدت حياة، أو وحدة حيّة، تسمّى الإنسان.

ومن طريف الأشياء أن نقارن الكرة الأرضيّة بالجسم الإنساني، فكما أنّ في الأرض آلاف الآلاف من مخلوقات بشريّة، كذلك توجد آلاف الآلاف من الخلايا في المخّ، وعمر هذه الخلايا حوالي خمسة وعشرين سنة، متفوّقة بذلك على مجموعات الخلايا في سائر الجوارح، التي يتراوح عمرها من ثواني ودقائق، كما في مجموعة الخلايا في الجلد، إلى أعمار أقلّ من التي في المخّ، بحيث يكون متوسّط عمر الخلايا ثلاثة عشرة سنة.

فكما أنّ في الخلايا "مجموعات"، كذلك يكون في الأرض "أجناس". وما أشبه مجموعة الخلايا المخّية، في مزيّة طول العمر، وأهمّية وظائفها من العقل والتدبير والذكاء والدهاء وغيرها، من خصال الاستعلاء على سائر أعضاء وجوارح الجسم، بالجنس البشري في مزيّته الكيفيّة على سائر الأجناس الأرضيّة.

فكما أنّ سائر الأجناس سخّرت للإنسان لإرضاء حاجاته الأساسيّة من الطعام والمسكن والعمل والإنجاب، بحيث أنّ الحيوان أمّن له الطعام والطاقة، والنبات أمّن له الطعام والدواء والمسكن،

[1] من كتابي وحدة الإرادة في الوجود.

لاحتوائه على الأخشاب، والجماد أمّن له المسكن، لاحتوائه على مواد البناء، فكذلك سخّر للمخّ كثير من الأعضاء، لتغذيته بالدم النقيّ الغنيّ بعناصر الطاقة.

فكثير من الأعضاء الوظيفيّة كالكبد والكلى والطحال والرئتين وغيرها تصفّي الدم من نفاياته وتنقّيه، والشرايين والعروق ـ بطولها الهائل الذي يساوي أربعة أضعاف مسافة محيط الأرض ـ جُعلت لتسهيل مجاري الدم وجريانه المستمرّ، الذي لا يتوقّف ليل نهار، لحمله غذاء سائغًا للمخّ.

فالأرض مدينة لعافيتها وصحّتها وسلامتها لتوازن الأجناس على سطحها والعناصر في أعماقها، فكذلك الإنسان مدين لعافيته وصحّته وسلامته لحسن عمل الخلايا وإتقان أدائها الوظيفيّ - كلّ في مجموعته - وتعاون الأعضاء والتوازن فيما بينها.

فكما نقول للكرة الأرضيّة بأنّ أمراضكِ وأسقامكِ سببها أن بعض أجناسكِ تستغلّكِ وتستغلّ مواردكِ وعناصركِ استغلالًا مفرطًا غير صحيح على حساب الأجناس الأخرى، غير عابئة بكِ وبعافيتكِ وسلامتكِ، فإنّ دواءكِ يكمن في أن ترجع هذه الأجناس الطاغية عن غيّها وجشعها وأطماعها وتعود إلى صوابها. وكما نقول للأرض (حسب نظريّة جايا): داؤك منك وأنت تحملين الدواء، كذلك نقول للإنسان: ـ

دواؤك فيـــك ومـــا تشـــعر  وداؤك منـــك ومـــا تبصـــر

وكما أنّ الأرض تعالج نفسها بأسلوب ما يسمّى (انتقام الطبيعة)، كذلك الجسم البشري يعالج نفسه بتغلّب الفيروسات والميكروبات النافعة على أقرانها الضارّة.

فالجسم مرتع لصراع مرير مستمرّ بين هذين الجيشين الجرّارين الذين يعدّان لا بالمئات والآلاف بل بآلاف الآلاف. فإذا فشل هذا الأسلوب وتغلّب الجيش الضارّ (من الفيروسات

والميكروبات) على الجيش النافع في منطقة معيّنة من الجسم، فإنّ موجودات أرضيّة أخرى وخاصّة النباتات والأعشاب تتسارع لردء الصدع وعلاج المرض والداء. وأيضًا تتسارع الأدوية الكيماويّة التي تتركّب من عناصر موجودة في الأرض لشفاء الأمراض والأسقام.

والأهمّ من ذلك كلّه فإنّه حينما تفشل الأدوية والأعشاب من شفاء المريض، فإنّ الحالات الروحيّة العليا التي تتكهرب بها الهالة المغناطيسيّة للإنسان[1] تشفي المرض حتمًا في كثير من الأحيان. فالمهمّ أن يكون المريض متّصلًا بخزانة الإيمان التي لا تنفد والفيض الوجودي الذي يملأ الفضاء والكون.

فالإنسان دائمًا مرتع لصراعات مريرة بين آلاف آلاف الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم. فحين تهجم الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم الضارّة على منطقة معيّنة من جسم الإنسان، تقوم الميكروبات النافعة للدفاع عن منطقتها. فإن غلبت النافعة الضارّة، لا يعرف الإنسان شيئًا عما جرى، وإن غلبت الضارّة النافعة، لا سمح الله، فإنّ تلك المنطقة الموبوءة تُرسل إنذارات على شكل أوجاع لتنبّه المريض بالكارثة التي حصلت. وهنا يحتاج الإنسان إلى دواء كي يسكّن هذه الأوجاع، أو يصلح الخلل الحاصل في تلك المنطقة.

[1] مثل زيارة العتبات المقدّسة للأئمّة الأطهار عليهم السلام وأولياء الله الصالحين والتبرّك بهم وطلب الشفاء من عند الله ببركتهم وبحقّ مقامهم ومنزلتهم عند الله.

# الجينات المكتسبة في الإنسان

وقد ثبت في بحث الخارطة الجينيّة أنّ هناك جينات موروثة وأخرى مكتسبة، والعجيب أنّ العلم قد اكتشف بأنّ الجينات المكتسبة هي أكثر بكثير ممّا كان يتصوّر من ذي قبل. وكلّ هذه هي نسخة وانعكاس وظلّ للأصل، والسيّالة المغناطيسيّة هي البرزخ الأوّل للأصل، ففيها توجد الصفات والخصال والقابليّات الموروثة والمكتسبة على شكل أنوار وألوان.

والواضح أنّ المكتسبة منها تراكمت على أثر احتكاك الإنسان بوالديه وإخوانه وأخواته وجيرانه وأصدقائه ومدرسته ومجتمعه وبيئته، وعلى الأخصّ في فترة طفولته، ومن ثمّ عند تكوين شخصيّته، تزيد وتتراكم على أثر أعماله ونمط حياته وسوء استفادته من قوّة الاختيار التي لديه أو حسن استفادته منها.

وفي الخارطة الجينيّة التي تختلف من إنسان إلى آخر يتعينّ ما هي الأمراض والأسقام التي يحمل الإنسان قابليّاتها. ولوجود هذه القابليّات يتأثر الإنسان من بيئته ومجتمعه والموجودات الأخرى، بشريّة أو حيوانيّة أو نباتيّة، حيث ينتقل إليه الداء بواسطة الفيروسات والميكروبات، ويتفاعل الجسم سلبًا بهذه الضيوف الجديدة. وينتج عن هذا أمراض عاديّة مؤقتة التي تتعافى بعد قليل، أو أمراض مزمنة تبقى في الجسم.

كلّ هذه التفاعلات تُخزّن في هويّته المغناطيسيّة، ولذلك لا داعي في المستقبل لإجراء أيّة عملية جراحيّة بالمبضع وغيره على الجسم البشري، لأنّ الأمراض تُرى بالألوان في السيّالة المغناطيسيّة، ويمكن إزالة ذلك عنها من دون التعرّض للجسم.

# الإنسان هو الرّوح

نتسائل أحيانًا ما هو الإنسان ؟

هل الإنسان هو الصورة الإنسانيّة الظاهريّة التي نراها من وجوه الجنس القوقازي والجنس الأصفر والجنس الزنجيّ وجنس الهنود الحمر، وما لها من ملامح خاصّة بها، من شكل الرأس والعيون والأذنين والأنف والفم واليدين والرجلين ؟

أم هل الإنسان هو لون شعره ولون عينيه وشكل أذنيه، ولون بشرته وطريقة مشيه، والطريقة التي يحرّك بها جسمه ورأسه ويديه ؟

أم هل الإنسان هو قدرة جوارحه وأعضائه الظاهريّة، مثل الحواس الخمس من الباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة، أم هو رشاقة قوامه وحركاته وسكناته ؟

أم هل الإنسان هو الدم واللحم والعظام والعضلات والأعصاب، أو السوائل التي تُشكّل حوالي ٧٣ بالمائة من جسمه ؟

أم هل الإنسان هو جوارحه وأعضاؤه الباطنيّة، التي لا تراها العين في الظاهر، ولكن تراها عند التشريح، كالمخّ والدماغ المعقّد المكوّن من مادة رماديّة عجيبة مليئة بالنتوءات والتجاعيد مثلًا ؟

أم الإنسان هو عموده الفقريّ الصلب ؟

أم هل الإنسان هو نظامه العصبيّ الدقيق المنتشر في كلّ أنحاء بدنه والمتّصل بمخّه ودماغه، والذي بواسطته يتلقّى الدماغ معلومات مثلًا من ناحية معيّنة من البدن، وبناء على ذلك يُصدر الدماغ أوامر مناسبة إلى تلك الناحية لتصحيح الوضع الطارئ.

أم هل الإنسان هو قلبه العضويّ الذي يتّصل بالدماغ البشري، وتتشعّب منه عروق وشرايين دقيقة جدًّا، طولها حوالي أربعة أضعاف مسافة محيط الكرة الأرضيّة، تملأ داخل بدنه جميعًا، وتحمل الدم النقيّ إلى جميع أعضائه الداخليّة والخارجيّة، بل إلى أدقّ أعضائه وجوارحه وألطفها، مثل المادة الرماديّة على سطح المخّ، والمواد اللطيفة التي يتكوّن منها نصف الكرتين اليسرى واليمنى في المخّ، وآلاف الآلاف من الخلايا اللطيفة الدقيقة جدًّا في المخّ والعينين والأذنين والأنف وغيرها، ثمّ تُرجع هذه العروق والشرايين الدم الفاسد إلى الرئتين لتنقيته بالأكسجين، وإلى الكلى والكبد لتنقيته من الرواسب الضارّة، ومن ثمّ تُرجع العروق والشرايين الدم النقيّ مرّة ثانية إلى القلب، كي يضخّه القلب إلى جميع أعضاء البدن الباطنيّة والظاهريّة مرّة أخرى ؟

أم هل الإنسان هو شيء أدقّ من هذا كلّه، والذي لا يُرى إلّا بالمجهر، من آلاف الجينات ومليارات الخلايا والميكروبات والفيروسات، التي تلعب الدور الأساسيّ في تكوين الإنسان ؟

أم هل الإنسان هو الخارطة الجينيّة البشريّة التي اكتُشفت حديثًا، والتي تضمّ حوالي ثلاثين ألف جينة، والتي تكمن بعضها في السائل المنويّ في (الكروموسومات)، والبعض الآخر يكتسب من البيئة المحيطة بالإنسان، أي الجينات الموروثة والمكتسبة، وكلّ هذه الأشياء تُرى إمّا بالعين المجرّدة قبل التشريح وبعده، وإمّا بواسطة المجاهر الدقيقة من أنواع مختلفة التي طوّرها البشر ؟

أم هل الإنسان هو صفاته وملامحه الأخلاقيّة والغريزيّة، مثل الغضب والبخل والكرم والحلم، والجهل والعلم، والإمساك والإيثار والفهم، والتمرّد والبغي والطغيان والخشوع، والنوم واليقظة والإيمان والخضوع، وشعوره بالبرد والحرارة، والعفّة والشبق الجنسي، وصفات الحبّ والإخلاص أو البغض والكراهية والرياء، والقابليّة للجرائم البشعة، أو قابليّاته للعروج الروحاني ؟

الإنسان هو (الأنا) الكامن فيه - سمّه الرّوح أو الإرادة أو (الأنا) أو غير ذلك من الأسماء - وهذه الأشياء التي ذكرناها إنّما هي أدواته لتسيير هذه الحياة القصيرة ، وهي أشياء في مستطاع البشر

أن يراها في الوقت الحاضر بالعين المجرّدة، أو بالأجهزة التي تُوصّل إليها حتى الآن. وما أكثر ما لم يتوصّل إليه البشر !

وهذا يحتاج إلى وقت طويل، ولكن غالبيتنا لا نتمتّع بخصال الصبر، ونريد أن نُصدر أحكامًا على ضوء ما هو المستطاع في الوقت الحاضر، ونقفز على حقائق عملاقة هي محجوبة عنّا، لأنّ العلم لم يتوصّل إليها. وحريّ بنا أن نعير التفاتنا إلى نظريّات وفرضيّات يمكن أن تكون مفتاحًا إلى بعض هذه الحقائق.

هذه الأشياء التي ذكرناها إنّما هي نسخة من الأصل، أو ظلّ للحقيقة، أو انعكاس عن الواقع. وحريّ بنا أن نبحث عن الواقع وعن الحقيقة وعن الأصل. أما ترى أنّ كلّ هذه الأشياء التي ذكرناها لا معنى لها ولا مضمون، إذا لم يكن فيها روح وحياة ؟

فهي آنذاك مجرّد عناصر أرضيّة تتحلّل، ويرجع الماء والملح والكالسيوم والفوسفات والبوتاسيوم والحديد وغيرها من العناصر إلى أصلها وهو الأرض. فبدون روح وحياة تنتمي هذه الأشياء إلى عالم الموتى، الذي هو مجرّد كتلة من العناصر المختلفة، بعيدة كلّ البُعد عن مفهوم الإنسان.

فلنوجّه التفاتنا إلى ما سوف يكشفه العلم في المستقبل، وإن لم تدركه أعمارنا القصيرة. فالأحرى بنا أن نفتح شبابيكنا، ونكون منفتحين على الحقائق، ولو كانت في الغيب في الوقت الحاضر، بدل أن نجزم ونحسم ونغلق أنفسنا وعقولنا ونتّسم بالعناد والإنكار.

العلم شيء مطاطيّ، ولا يدّعي الحقائق المطلقة، والذي يزيد من مطاطيّته ومرونته هو انفتاحنا على نظريّات تكسر الحواجز، وتنفذ إلى الحقائق التي نحسبها نهائيّة.

# الكاميرات التي تصوّر الهالات المغناطيسيّة

إذن لا بدّ من أجهزة أخرى تكتشف الإنسان وتصوّره، وهذه الأجهزة غالية الثمن جدًّا. ومن حسن الحظّ أنّ مثل هذه الأجهزة بدأت تتطوّر في اكتشاف علوم الفلك والفضاء، والتي تصرف في بحوثها الأمم المتقدّمة، وتخصّص في ميزانياتها مليارات المليارات من الأموال.

ولقد صُنعت واستُعملت حديثًا تلسكوبات جاندرا Chandra و إكس إم إم نيوتن XMM-Newton لتصوير أشعّة جاما Gamma-ray والأشعّة السينيّة X ray في الكون الواسع، لانفجارات النجوم والمجرّات التي تبعد عنّا مليارات السنوات الضوئيّة، وتصوّرها بألوان أخّاذة، قدّر لإنسان اليوم أن يراها لأوّل مرّة في التاريخ.

وأيضًا صُنع واستُعمل حديثًا تلسكوب كاسيني Cassini، الذي يمكّن الجهاز المركّب عليه باسم (جهاز تصوير الكرة المغناطيسيّة) من تصوير الكرة المغناطيسيّة لكوكب المشتري، الذي هو أكبر سيّارات المنظومة الشمسيّة.

وهي في الحقيقة ليست على شكل كرة، بل على شكل قطرة ماء، لها ذيل طويل ورأس مدبّب، مطاطيّة الشكل، تتّخذ شكل قطرة ماء عندما تصطدم بها الرياح الشمسيّة، وهي عبارة عن بلازما Plasma أو غازات مكهربة تأتي إلينا من سطح الشمس.

ومن المفروض أن يصوّر هذا التلسكوب الكرة المغناطيسيّة للأرض في المستقبل القريب. ومن المعروف أنّ القوّة المغناطيسيّة كان يعلم بها الإنسان عن طريق آثارها، مثل تأثيرها على الحديد

والعناصر المغناطيسيّة والإبرة المغناطيسيّة المسمّاة (البوصلة)، التي تُرشد السفن في البحر، وتُرشد المسافرين في البرّ أيضًا.

وكان الإنسان يعلم حتى عن شكل خطوطها، بواسطة نثر برّادات الحديد على الورق. وهذه الكرات المغناطيسيّة العظيمة سوف تدلّنا في المستقبل على تفاصيل كثيرة جدًّا، تكشف عن أسرار المشتري والأرض بتفاصيلها الدقيقة، وسوف تسهّل علينا تنبّؤات عن العواصف وتقلّبات الجوّ وحالاته والأمطار والغيوم وحتى عن الزلازل، لآماد تمتدّ إلى أشهر وحتى إلى سنين.

والعجيب في الكرة المغناطيسيّة للمشتري أنّ محيطها الخارجي له لون فاتح، وله عدّة نتوءات كالذيول، تمتدّ في الفضاء فراسخ عميقة، وهي أشبه ما تكون بأجهزة التلقّي والإرسال، التي من خلالها تتفاعل مع الشمس والكواكب الأخرى، والتي هي بدورها تتمتّع بكرات مغناطيسيّة عظيمة ذات ذيول للتلقّي والإرسال، والتي لا بدّ أن تكتشف وتصوّر في المستقبل، بواسطة أجهزة دقيقة متطوّرة. والنتوءات الظاهرة في الكرة المغناطيسيّة للمشتري تقارب الثمانية عددًا، وهي تختلف عن بعضها البعض طولًا وقصرًا وضعفًا وشدّةً وفي أعمالها الوظيفيّة.

وسوف يتطوّر هذا النوع من التلسكوبات إلى أنواع مشابهة من الكاميرات المتطوّرة لتصوير الهالة المغناطيسيّة للإنسان. وهذا الحدث سيكون الخطوة الأولى للحضارة البشريّة خارج المنطقة الماديّة من الكون، أو داخل ما يسمّونه (منطقة ما وراء الطبيعة) أو (الميتافيزيك).

بل إنّ جزءًا من هذه المنطقة معروفة في العلم الحديث باسم (ميدان الطاقة)، وهي الأمواج الكهرومعناطيسيّة التي اكتشف قوانينها ماكسويل Maxwell في القرن التاسع عشر، والتي بنى عليها آينشتين Einstein نظريّاته النسبيّة الخاصّة والعامّة، والتي استعمل آثارها النافعة ماركوني Marconi الإيطالي في أوائل القرن العشرين عند اختراعه الراديو، وبيرد Baird البريطاني عند اختراعه التلفزيون.

ولكن ماكسويل Maxwell وآينشتين Einstein وماركوني Marconi وبيرد Baird لم يروا هذه الأمواج قط بأعينهم، بل توصّلوا إليها بواسطة آثارها. وكانت اكتشافاتهم نقاط عطف في التقدّم العلميّ الهائل في القرن العشرين. فكما أنّ العلم كدح لسنوات طويلة لاستخراج وتكميل الخارطة الجينيّة، فعليه أيضًا أن يكدح آمادًا طويلة لاستخراج الخارطة المغناطيسيّة للإنسان وتكميلها.

ففي هذه الخارطة سوف تُكتشف وتُصوّر تفاصيل كثيرة عن أسرار الإنسان، وقابليّاته الجسميّة والخلقيّة والروحيّة: مثل لون بشرته ولون شعره ولون عينيه، وشكل رأسه وعينيه، وأنفه وفمه وأذنيه، وقوامه وطوله وقصره، وطريقة مشيه وحركات يديه ووجهه وجسمه، وقابليّاته للأمراض المختلفة، ومكامن الداء فيه، وغضبه وحلمه، وبخله وكرمه ولؤمه، وجبنه وشجاعته ونبله وكذبه وصدقه، وأيضًا قابليّاته لمبالغ علمه ومقاماته، ومدى شفافيّته واطّلاعه وإطلاله على العوالم والمقامات، والمعارج والمستويات.

فلكلّ من هذه التفاصيل الدقيقة لون خاص بها في السيّالة المغناطيسيّة، مليئة بالخطوط والمنحنيات والتجاعيد النورانيّة، والتي تدلّ على تفاصيل كثيرة عن خصال الإنسان، ومدى تأثّرها بعوامل السقم والصحة، بواسطة أعمال الإنسان نفسه.

والهالة المغناطيسيّة للإنسان مثلها كمثل الكرة المغناطيسيّة للمشتري، لها عدّة نتوءات كالذيول، أشبه ما تكون بأجهزة التلقّي والإرسال، تتفاعل من خلالها مع البيئة والمجتمع والأصدقاء والأخلّاء، ومع برامج التلفازات الحديثة والإنترنت، بل ومع كلّ أنواع التربية التي يتعرّض لها، وأيضًا مع الطبيعة والمخلوقات الأخرى على الأرض، وخاصّة تلك التي تتواجد بكثرة من حواليه، مثل الأشجار والورود والزهور، والموجودات النباتيّة والأعشاب، والتي تتداوى بها كثير من الأسقام والأمراض.

وكذلك الحيوانات الأليفة، وحتى الحيوانات الشرسة المتوحّشة، فهو يرتاح لها كما يرتاح للمناظر الخضراء الخلّابة في الطبيعة. وبسبب هذا التفاعل يحبّ هذه الأشياء.

وليس بغريب أن تتمّ التفاعلات حتى مع الشمس الأمّ وسيّاراتها المختلفة، بل وحتى مع النجوم والمجرّات التي تملأ الكون. فالذيول المغناطيسيّة تمتدّ في أعماق الكون - وهي تختلف عن بعضها البعض طولًا وقصرًا وشدّةً وضعفًا وفي أعمالها الوظيفيّة - وتتلاقى مع الذيول المجانسة وتؤثّر فيها وتتأثّر بها.

وحتى أنّ السيّالات المغناطيسيّة تتحدّى حواجز المكان والزمان، عن طريق الأمواج الكهرومغناطيسيّة التي تملأ الفضاء الواسع، ببقائها مددًا طويلًا في الفضاء، وتأثيرها على الأجيال التي لم تولد بعد، بحيث تتأثر هذه الأجيال القادمة مع الشخصيّات العظيمة في التاريخ البشري، وخصوصًا أعلام الرسالات السماوية كـ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإبراهيم وموسى وعيسى وأمثالهم عليهم وعلى نبينا محمّد صلّى الله عليه وآله أفضل الصلوة وأتمّ التسليم، متحدّية بذلك حواجز الزمان السحيقة.

وفي إحدى كتبه تنبّأ شيخي صادق العنقا قدّس سرّه بأنّ العلم سوف يتوصّل إلى السيّالات والهالات المغناطيسيّة للإنسان، ويصوّرها يومًا ما في المستقبل القريب، وأعلن فيه نظريّته التالية:-

> إنّ الإنسان غائصٌ في سيّالة أو هالة مغناطيسيّة لا تُرى بالعين المجرّدة، والتي تحمل في طيّاتها أسرار الأمراض على شكل ألوان وأنوار. وأنّ الإنسان سيتمكّن من تصويرها بل تصوير كلّ الألوان والتفاصيل التي تحملها. ولذلك فإنّ مستقبل الطبّ سيتركّز على هذه السيّالة أو الهالة، وأنّ العمليّات الجراحيّة التي تستعمل المبضع والسكّين ستُستبدل بعمليّات على السيّالة أو الهالة المغناطيسيّة من دون حاجة إلى الأدوات الحادّة المذكورة.

# الخازنات المغناطيسيّة في بدن الإنسان

ونقاط أجهزة التلقّي والإرسال في البدن الإنساني - والتي تتطابق مع ذيوله المغناطيسيّة - هي ثلاثة عشرة نقطة. وألخّص في هذا المقام ما قاله أستاذي الأعظم الشيخ صادق العنقا قدّس سرّه في كتابه "الزوايا الحياتيّة الخفيّة":-

توجد في الإنسان ثلاثة عشرة نقطة في بدنه، أو بالأحرى ثلاثة عشرة خازنة مغناطيسيّة، **هي في ارتباط دائم مع جريانات كهرباء الوجود**، وهي كالآتي:-

١ _ الحفرة الشمسيّة: وهي الحفرة التي توجد تحت أسفل قفص الصدر وفوق الحجاب الحاجز. وذرّاتها المغناطيسيّة تنمو مباشرة من نور الشمس، وخطوطها أفقيّة وتتقاطع تقريبًا مع خطوط الأعصاب. **وهذا الخازن مؤثّر في التعاليم الحياتيّة والكيفيّات، مثل الميول والخوف والعشق المجاز.**

٢ _ مخّ الإنسان: ومن المسلّم أن سطحه الرمادي في ارتباط مع المنظومة الشمسيّة في دائرة قطرها ثلاث ألف ألف كيلومتر (أي ثلاثة ملايين كيلومتر)، ويتّصل دائمًا بأمواج آلفا ALPHA والأمواج الفكريّة. **ولقد سمّيتُ هذه الدائرة (دائرة الفكر الإشراقي).**

٣ _ النقطة الحياتيّة النورانيّة في القلب: وهي مركز انتشار الحياة. وهذا الخازن هو المدير الكامل العاقل المقتدر الذي هو في ارتباط دائم بالخازنات الأخرى.

وباحتمال أقوى **هو "نقطة ملكوت الإنسان" الذي تسمّيه الأديان ملكوتًا. ويركّز المؤمن الصوفيّ عليه وعلى الحفرة الشمسيّة ومن ثمّ ينشرها إلى المخّ.**

**وهذا النوع من الاتحاد بين القلب والحفرة الشمسيّة والمخّ لهو أسلوب <<الطريقة الأويسيّة>>.**

وهو على خطى تعاليم الأنبياء وخصوصًا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهذا ما أكّد عليه الإسلام بحضور القلب في الصلاة في الحديث النبوي الشريف: <<لا صلاة إلا بحضور القلب>>. **فهذا الخازن هو محلّ بروز كلّ الإشراقات المعنويّة في نظام الأنبياء.**

٤ _ الحفرة بين الحاجبين: والتي تقع مباشرة فوق الأنف، **وهي عامل مهمّ في قراءة الأفكار من مسافات بعيدة، أو ما يسمّى التلباتي** Telepathy **، وأيضًا في عجائب الحسّ السادس.**

٥ _ العصعص أو عَجْبُ الذَّنَبِ: ويقع في أسفل فقرة من فقرات العمود الفقري، وهو مثلّث الشكل، وهو عامل مهمّ في وجود الإنسان، ومركز من مراكز الحياة الأساسيّة.

والعجيب أنّه العضو الوحيد في الإنسان الذي لا يتحلّل بعد الموت، ولا يتبدّل إلى تراب. وهذا الخازن هو عامل القوّة والنفوذ في الآخرين، ومؤثر في الخلق والإنجاب. ويركّز الهندوسي (اليوجي) عليه وعلى العمود الفقري في رياضاته وتمركزه.

٦ _ نقطة في اللهاة: وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، ويعمل كالرادار ويتّصل بالأمواج الفكريّة المنتشرة في الفضاء. إنّ المخترعين والمكتشفين مدينون لهذا الخازن وعلاقته بخازن الحفرة الشمسيّة.

**وبإمكان هذا الخازن أن ينشر أمواج المخّ المغناطيسيّة في الفضاء إلى اثني عشر كيلومترًا أو يزيد في شكل عمود من نور.** إنّ هذا الخازن يتلقّى أمواج آلفا ALPHA في تنسيق مع خازنات الحواس، وينتج عن ذلك السماع والشمّ والرؤية.

٧ _ نقطة في رأس بصل النخاع: وهو في ارتباط مباشر مع عَجْبُ الذَّنَبِ، **وعندما يكونا هذان القطبان في ارتباط كامل بحيث يؤثران على النخاع الشوكيّ ، يستطيع الإنسان أن يأتي بأعمال خارق العادة.**

٨ _ خازن موجود في العين لحاسة البصر.

٩ _ خازن موجود في الأذن لحاسة السمع.

١٠ _ خازن موجود في اللسان لحاسة النطق.

١١ _ خازن موجود في الأنف لحاسة الشمّ.

١٢ _ خازن موجود في الطبقة الجلديّة لحاسة اللمس.

١٣ _ الغدد اللمفاويّة وهي أضعف الخازنات.

# الجينات نسخة عن الأنوار

كلّ هذه الصفات والخصال التي ذكرناها موروثة أم مكتسبة، لها جينة أو جينات خاصّة بها في الخارطة الجينيّة، **والجينات هي نسخة ماديّة (أو ظلّ أو انعكاس) عن الأنوار والألوان في الخارطة المغناطيسيّة. أي أنّ كلّ هذه الصفات والخصال لها نور خاص بها في الهالة المغناطيسيّة للإنسان، وتظهر على شكل ألوان رائعة في هذه السيّالة، التي سوف يكتشفها بل سوف يصوّرها العلم في المستقبل.**

وعند حصولنا على الأنوار والألوان الرائعة بتفاصيلها في السيّالة المغناطيسيّة، سوف نضع إصبع التحقيق على كثير من أسرار النفس البشريّة، من تفاصيل الجينات والخلايا والأعصاب والنظام العصبي والفيسيولوجي، والدم واللحم والعظام والعضلات، والكبد والكلى والطحال، والأمعاء والرئتين والدماغ البشري، وشحم العين وعظم الأذنين ولحم اللسان، التي بواسطتها نرى ونسمع وننطق، وفوق كلّ ذلك نضع إصبع التحقيق على خبايا العقل الباطن واللاوعي في الإنسان.

وأهمّ عضوٍ سوف نكتشف أسراره هو القلب، وصلته بديناميكيّة الحياة، **بل ستكون لنا إطلالة على طبّ الأحياء.**

وفي هذه السيّالة سوف نرى القابليّات والحالات الدقيقة لكلّ الجوارح والأعضاء والصفات والخصال لذلك الإنسان بعينه، ونتنبّأ بالأمراض والأسقام بأنواعها المختلفة.

# فضل العلم والعشق

يا نفسُ ! استكشفي المحسوسات في الأرض وفي الكون، واللذّات المعنويّة بتفاصيلها الدقيقة، فيما يسمّى العلم.

لقد قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم[1] : << قَلبٌ لَيسَ فيهِ شَيءٌ مِنَ الحِكمَةِ كَبَيتٍ خَربٍ، فَتَعَلَّموا وعَلِّموا، وتَفَقَّهوا ولا تَموتوا جُهّالًا، فَإِنَّ اللهَ لا يَعذِرُ عَلَى الجَهلِ>>، وقال صلوات الله تعالى عليه وآله: <<مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ>>. وقال صلوات الله تعالى عليه وآله: << خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ>>.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: <<هلك من لم يكن له حكيم يرشده>>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام[2] : << ما شيبَ شيءٌ بشيءٍ أَحسن مِن حِلمٍ بعلمٍ >>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام[3] : <<لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُورِثُ أَهْلَ بَيْتِهِ الْعِلْمَ وَ الْأَدَبَ الصَّالِحَ حَتَّى يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ جَمِيعاً>>. وقال عليه السلام[4] : <<لستُ أُحبُّ أن أرى الشاب منكم إلاَّ غادياً في حالين: إمَّا عالماً أو متعلِّماً>>.

وهذا يشمل علم الأبدان، بمعنى علوم المحسوسات وقوانينها، بما فيها علوم الكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها، وعلم الأديان بما فيها علوم العشق والعرفان، وعلوم الملكوت والكنوز في السماء.

---

(1) نهج الفصاحة صفحة ٦٠٠.

(2) بحار الأنوار الجزء ٧٥ صفحة ١٧٢.

(3) مستدرك الوسائل الجزء ١٢ صفحة ٢٠١.

(4) الأمالي للطوسي صفحة ٣٠٣.

اسمع ماذا يقول عيسى عليه السلام في عشق الله[1] :

ثمّ ضرب عيسى مثلًا: كان هناك رجل يسافر، وأثناء مشيه عثر على كنز في حقل. وكان الحقل تعادل قيمته خمسة قطع من النقود (الذهبيّة). باع الرجل فورًا عباءته من أجل أن يشتري الحقل. هل كان عمل ذلك الرجل منطقيًّا ؟

أجاب الحواريون: لو لم يتصرّف هكذا لاعتبر مجنونًا.

فقال عيسى عليه السلام: **إذن أنتم مجانين لو لم تسلّموا كلّ حواسّكم لله، كي يشتري أرواحكم، حيث يستقرّ كنز العشق، لأنّ العشق كنزٌ لا يضاهيه أيّ كنز. من أحبَّ الله وعَشِقَهُ كَسَبَ الله، ومن كَسَبَ الله كَسَبَ كلّ شيء.**

فقال بطرس: يا سيّدي كيف نحبّ الله حبًّا صادقًا ؟

أجاب عيسى عليه السلام: الحقّ أقول: من لم يبغض أباه وأمّه ولم يبغض نفسه وأولاده وزوجته لأجل حبّ الله، لا يستحقّ من الله حبّه وعشقه.

فقال بطرس: أيّها المعلّم إنّه مكتوب في الناموس في كتاب موسى عليه السلام: <<وقّر أباكَ حتى تعيش طويلًا على الأرض>>. وأيضًا جاء في كتاب موسى عليه السلام: <<اللعنة على الولد الذي لا يطيع أباه وأمّه ! وأنّ الله أمر لمثل هذا الولد العاقّ أن يغضب الناس عليه ويرجموه بالحجارة على بوّابة المدينة>>. فكيف تطلب منّا أن نبغض آباءنا وأمهاتنا ؟

[1] من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام في فصل من أحبّ الله كسب الله.

فأجاب عيسى عليه السلام: إنّ كلّ كلمة أقولها هي عين الصدق، لأنّها ليست منّي بل من الله الذي بعثني إلى بني اسرائيل. أقول لكم واسمعوا: **كلّ ما تمتلكونه هو من الله، وهو الذي وهبكم إياه. قولوا لي: أيّها أغلى وأعلى قيمة: الهبة أم الواهب ؟**

إذا كان أبوك وأمّك أو أيّ شيء آخر هو العائق لكَ عن خدمة الله، تخلّ عنهم واتركهم واهجرهم، فإنّهم أعداؤك. ألم يقل الله لابراهيم عليه السلام: انطلق من بيت أبيك وأهلك، واذهب إلى الأرض التي سوف أهبك ولذريّتك، كي تعيش فيها. ولماذا قال الله ذلك ؟ لأنّ أبا ابراهيم كان صانع الأوثان والآلهة الكاذبة وكان يعبدها. وكانت العداوة مضطرمة بينهما، بحيث أنّ الأب أراد أن يحرق ابنه.

# ضعوا كنوزكم في السماء

من وصايا عيسى عليه السلام وموعظته لأصحابه[1] :

يا بَني إسرائيلَ، أمَا تَستَحيونَ مِن اللهِ ؟ ! إنّ أحَدَكُم لا يَسُوغُ لَهُ شَرابُهُ حتّى يُصَفِّيَهِ مِن القَذى ، و لا يُبالِي أن يَبلُغَ أمثالَ الفِيَلَةِ مِن الحَرامِ ! أ لَم تَسمَعوا أنّهُ قِيلَ لَكُم في التَّوراةِ : صِلُوا أرحامَكُم ، و كافِئوا أرْحامَكُم ؟!

و أنا أقولُ لَكُم : صِلوا مَن قَطَعَكُم، و اعطَوا مَن مَنَعَكُم، و أحسِنوا إلى مَن أساءَ إلَيكُم، و سَلِّموا على مَن سَبَّكُم، و أنصِفوا مَن خاصَمَكُم، و اعفُوا عَمَّن ظَلَمَكُم، كما أنّكُم تُحِبّونَ أن يُعفى عَن إساءتِكُم، فاعتَبِروا بعَفوِ اللهِ عَنكُم.

ألاَ تَرَونَ أنّ شَمسَهُ أشرَقَت على الأبرارِ و الفُجّارِ مِنكُم، و أنّ غيثَهُ يَنزِلُ على الصّالِحينَ و الخاطِئينَ مِنكُم ؟! فإن كُنتُم لا تُحِبّونَ إلاّ مَن أحَبَّكُم، و لا تُحسِنونَ إلاّ إلى مَن أحسَنَ إلَيكُم، و لا تُكافِئونَ إلاّ مَن أعطاكُم، فما فَضلُكُم إذا على غَيرِكُم ؟! و قَد يَصنَعُ هذا السُّفَهاءُ الّذينَ لَيسَت عِندَهُم فُضُولٌ و لا لَهُم أحلامٌ.

و لكنْ إن أرَدتُم أن تَكونوا أحِبّاءَ اللهِ و أصفِياءَ اللهِ، فأحسِنوا إلى مَن أساءَ إلَيكُم، و اعفُوا عَمَّن ظَلَمَكُم، و سَلِّموا على مَن أعرَضَ عَنكُم، اسمَعوا قَولي، و احفَظوا وَصِيَّتي، و ارعَوا عَهدي كَيما تَكُونوا عُلَماءَ فُقَهاءَ.

---

[1] تحف العقول: ٥١٣ - وبحار الأنوار: ٣١٧/١٤.

بِحَقٍّ أقولُ لَكُم : إنَّ قُلوبَكُم بِحَيثُ تَكونُ كُنوزُكُم، و لِذلكَ النّاسُ يُحِبّونَ أموالَهُم، و تَتُوقُ إلَيها أنفُسُهُم، **فضَعوا كُنوزَكُم في السَّماءِ، حيثُ لا يَأكُلُها السُّوسُ، و لا يَنالُها اللُّصوصُ.**

بِحَقٍّ أقولُ لَكُم :إنّ العَبدَ لا يَقدِرُ على أن يَخدِمَ رَبَّينِ، و لا مَحالَةَ أنّهُ يُؤثِرُ أحدَهُما علَى الآخَرِ و إن جَهِدَ، كذلكَ لا يَجتَمِعُ لَكُم حُبُّ اللّهِ و حُبُّ الدُّنيا.

بِحَقٍّ أقولُ لَكُم : إنّ شَرَّ النّاسِ لَرجُلٌ عالِمٌ آثَرَ دُنياهُ على عِلمِهِ، فأحَبَّها و طَلَبَها و جَهِدَ علَيها ؛ حتّى لَوِ استَطاع أن يَجعَلَ النّاسَ في حَيرَةٍ لَفَعَلَ، و ماذا يُغني عَنِ الأعمى سَعَةُ نُورِ الشَّمسِ و هُو لا يُبصِرُها ؟! كذلكَ لا يُغني عَنِ العالِمِ عِلمُهُ إذ هُو لَم يَعمَلْ بِهِ.

ما أكثَرَ ثِمارَ الشَّجَرِ و لَيسَ كُلُّها يَنفَعُ و يُؤكَلُ ! و ما أكثَرَ العُلَماءَ و لَيسَ كُلُّهُم يَنتَفِعُ بما عَلِمَ ! و ما أوسَعَ الأرضَ و لَيسَ كُلُّها تُسكَنُ ! و ما أكثَرَ المُتَكلِّمِينَ و لَيسَ كُلُّ كَلامِهِم يُصَدَّقُ !

فاحتَفِظوا مِن العُلَماءِ الكَذَبَةِ الّذينَ علَيهِم ثِيابُ الصُّوفِ، مُنَكِّسي رُؤوسِهِم إلَى الأرضِ، يُزَوِّرونَ بِهِ الخَطايا، يَرمُقونَ مِن تَحتِ حَواجِبِهِم كما تَرمُقُ الذِّئابُ، و قَولُهُم يُخالِفُ فِعلَهُم، و هَل يُجتَنى مِن العَوسَجِ العِنَبُ ؟! و مِنَ الحَنظَلِ التِّينُ ؟! و كذلكَ لا يُؤَثِّرُ قَولُ العالِمِ الكاذِبِ إلاّ زُورا، و لَيس كُلُّ مَن يَقولُ يَصدُقُ.

بِحَقٍّ أقولُ لَكُم : إنّ الزَّرعَ يَنبُتُ في السَّهلِ و لا يَنبُتُ في الصَّفا، **و كذلك الحِكمَةُ تَعمُرُ في قَلبِ المُتَواضِعِ و لا تَعمُرُ في قَلبِ المُتَكبِّرِ الجَبّارِ**، ألَم تَعلَموا أنّهُ مَن شَمَخَ برَأسِهِ إلَى السَّقفِ شَجَّهُ، و مَن خَفَضَ برَأسِهِ عَنهُ استَظَلَّ تَحتَهُ و أكنَّهُ ؟! و كذلكَ مَن لَم يَتَواضَعْ للّه ِ خَفَضَهُ، و مَن تَواضَعَ للّهِ رَفَعَهُ.

إنّهُ لَيسَ على كُلِّ حالٍ يَصلُحُ العَسَلُ في الزِّقاقِ، و كذلكَ القُلوبُ لَيسَ على كُلِّ حالٍ تَعمُرُ الحِكمَةُ فيها، إنّ الزِّقَّ ما لَم يَنخَرِقْ أو يَقحَلْ أو يَتفُلْ فسَوفَ يَكونُ لِلعَسَلِ وِعاءً، **و كذلكَ القُلوبُ ما لَم تَخرِقْها الشَّهَواتُ، و يُدَنِّسْها الطَّمَعُ، و يُقَسِّها النَّعيمُ، فسَوفَ تَكونُ أوعِيَةً للحِكمَةِ.**

# يا نفس لا تحملي أوزار الدنيا

يا نفسُ ! إنّ التفكير المعوجّ كلّه أوزار على الجسم، يعرقله عن أداء الوظائف، فادرسيها، وزرًا وزرًا. وإذا شرّحت كلّ وزر إلى شرائحه، وشققتيه إلى أعماقه، سوف تجدين أنّ كلّ شيء لله ومن الله، وهو الذي يتكفّل بكلّ الوظائف في جسمكِ لا أنتِ.

فوالله لو دقّقت في كلّ وزر، سوف تجدين نفس المشكلة، وهو تفكيركِ المعوجّ بأنكِ مكلّفة بتأدية وظيفة ما من وظائف الجسم، من نوم وجنس وغيره.

فاعرفي يا نفسُ ! إنّ الله هو المتكفّل بكلّ شيء، وكلّ شيء ملكه، وليس ملككِ، وتفكيركِ المعوجّ بأنّ كلّ شيء ملككِ، هو الذي يصنع لكِ الأوزار والمشقّات. أو بالأحرى إنّ من ينوء تحت أوزار الدنيا ومشقّاتها لهو خير دليل على تفكيره المعوجّ وعقيدته الضالّة بأنّ كلّ شيء ملكه.

يا نفسُ ! أعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وفوّضي كلّ الأوزار إليه سبحانه وتعالى، ولا تفكّري أنّ هذا وذاك عليكِ أن تؤدّيه، بل هو الذي يؤدّي، وما أنتِ إلّا جاهلة معقّدة متطفّلة، لا تضعين الأشياء مواضعها.

ما عليكِ يا نفسُ ! إلّا أن تركّزي على خالقكِ، والذي خلق ويخلق كلّ شيء فيكِ، ودبّر ويدبّر كلّ شيء فيكِ. ألا ترين أنّ قلبكِ ينبض ليل نهار، ومن ذا الذي يفعل ذلك غيره ! ألا ترين أنّ دمكِ يجري في شراييكِ وعروقكِ ليل نهار، ومن ذا الذي يفعل ذلك غيره ! وقيسي على هذا كلّ ما فيكِ من الوظائف.

عندما تنامين فكّري في الله وحده. النوم معجزة عظيمة وهي صنو الموت كما قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. فكما أنّكِ تنامين ثمّ تستيقظين كذلك تموتين ثمّ تُبعثين. هي نفس العمليّة تتكرّر لكِ كلّ يوم وليلة. وكلّ هذه المعاجز من الله وليس منكِ. فركّزي على الله سبحانه وتعالى فهو المتكفّل بهذه الوظيفة العظمى.

يقول سبحانه وتعالى[1] : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }. ويقول عزّ من قائل[2] : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.

عندما تنامين ركّزي على الله وحده، وتدبّري في عظمته وكيف يخلق هذه الظاهرة العظيمة في حياتكِ، ولا تشتّتي فكركِ هنا وهناك. النوم ملكه كما أنّ كلّ شيء في حياتكِ ملكه سبحانه وتعالى.

والنوم أيضًا جزء من الدنيا ويشمله قانون << وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ >>[3] ، فمن كان في خدمة الدنيا أتعبته حتى في النوم، وشتّتت أفكاره عند النوم وأشغلته في أمور الدنيا. أمّا الذي يخدم الله فهو يجد الله عند وساده كما قال عيسى عليه السلام، كما في الفصل التالي.

---

[1] سورة الأَنعام الآية ٦٠.

[2] سورة الزمر الآية ٤٢.

[3] <<أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا: اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ>> حديث قدسي.

# ابغني عند وسادك تجدني [1]

وما قاله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن وصايا الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام[2] :-

قال: كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له:-

---

[1] إنّ الله في كلّ مكان، وفي الإمكان أن تجده في كلّ مكان. إلّا أنّه يُحجب عنّا في روتين الحياة، إلّا من رحم ربّي، وما أقلّهم ! بيد أنّه أكثر وضوحًا ورؤية في المنعطفات الحادّة من حياتنا، مثل حالات الحوادث، وحالات المرض، وحالات العمليّات الجراحيّة، وحالة الاحتضار، وعلى الأخصّ، مثل النوم الذي هو صنو الموت، كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم. يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: <<(إلهي) أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إِلى دَليل يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتى تُوصِلُ إِلَيْكَ>>.

والنوم يتكرر عندنا كلّ مرّة، كما أنّ اليقظة تتكرر عندنا كلّ مرّة، وهما رمزان بارزان في حياتنا للموت والبعث، جعلهما الله أمام عيوننا آيات ظاهرات بينات تتكرر في حياتنا.

إلّا أنّ الموت نفسه والبعث نفسه لا يتكرّران، كما في حالة النوم واليقظة، اللتين جعلهما الله في حياتنا معلمين واضحين، كي يذكّرنا كلّ يوم وليلة بالموت والبعث.

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم عن النوم في سورة الأَنعام الآية ٦٠: { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى }. وذكر الله اسمه العظيم (هو) أي لا اسم أو ملك من ملائكته، ولا أي واسطة من الوسائط. فظهوره سبحانه وتعالى عند النوم واليقظة واضح بيّن، إلّا أنّه ينبغي لك أن تبغي الله حتى تجده، لا أن تفكّر في همومك وغمومك الدنيويّة، وفي خبث أفكارك على الوسادة عند النوم.

[2] بحار الأنوار: ٢٩٩/١٤ - الأمالي: ٣١٢ - روضة الكافي: ١٤١.

يَا عِيسَى لا تَأْمَنْ إِذَا مَكَرْتُ مَكْرِي، وَلا تَنْسَ عِنْدَ خَلَوَاتِك بالذنب [1] ذِكْرِي[2].

[1] الناس يقولون هذا معصوم وذاك غير معصوم، وكيف يخلو عيسى بالذنب، وهو من أولي العزم من الرسل، ولا يفقهون أنّ الذنب هو الغفلة عن الله ولو للحظة. فلو ذكرت الله عند الغفلة زالت الغفلة وزال الذنب.
الناس يجمّدون الدين ويحجّرونه بأحكام خاطئة كاذبة، وينسون أنّ الإنسان كائن حيّ، لا جامد ولا حجر. وأنّ الذنب لا بدّ أن يعقبه ندم وتوبة وبكاء ونحيب، ثمّ غفران الله ورضوانه وما أحلاها ! والله يحبّ حزنك وبكائك على ذنوبك، ويحبّ أن تتملّقه وتبصبص فيه. وهذه عمليّة مستمرّة حتى نتنفّس هواء الغفران، ونستنشق نسيم الرضوان. يجب أن نكون مع الله دائمًا أبدًا سرمدًا ! ولا نغفل عن أنّنا خُلقنا من عنصر الأرض، الذي يلازمه الرجس والدنس، وأنّنا تغلّبنا على معظمه، بعد ذكر مديد وجهاد طويل وعيش مع الله هنيئ مريئ.
ثمّ لا نركن إلى كلّ ذلك، ولا نأمن مكر الله بعد ذلك، فالمؤمنون يفتنهم الله فتونًا. يقول الله جلّ وعلا فس سورة العنكبوت الآية ٢: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }. يقول الرسول الأعظم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: <<لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنة>>. وقال صلوات الله عليه وآله أيضًا: <<لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ الْعُجْبَ الْعُجْبَ>>. وما أكثر ما ابتليت الأمة بالْعُجْب الْعُجْب !
كلّ يفكر أنّه طاهر وغيره مذنب، ناسيًا أنّ الله وحده هو الطاهر، وكلّ يفكر أنّه عالم وغيره جاهل، غافلًا عن أنّ الله وحده هو العالم. وأدهى وأمرّ، أنّ معظم الناس يمارسون العُجْب وهو أعظم الذنوب، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعًا، وأنّ الإنسان الجاهل يفكّر أنّ العُجْب ليس ذنبًا ولا إثمًا، ناسيًا أنّه من كبريات المعاصي، وأنّ العُجْب والغرور قد ركب الشيطان، وتسبّب في طرده من الجنان، ورجمه من رحمة الله العزيز الديّان.
[2] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٢): ولا تنس عند الخلوات ذكري، وفي نسخة من البحار : لا تنسى عند خلوات الدنيا ذكري.

يَا عِيسَى حَاسِبْ نَفْسَكَ بِالرُّجُوعِ إِلَيَّ حَتَّى تَتَنَجَّزَ ثَوَابَ مَا عَمِلَهُ الْعَامِلُونَ[1] أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ وَأَنَا خَيْرُ الْمُؤْتِينَ.

يَا عِيسَى[2] وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ بِأَمْرِيَ الْمُرْسَلُ إِلَيْهَا رُوحِي جَبْرَئِيلُ الأَمِينُ مِنْ مَلائِكَتِي حَتَّى قُمْتَ عَلَى الأَرْضِ حَيّاً تَمْشِي كُلُّ ذَلِكَ فِي سَابِقِ عِلْمِي.

يَا عِيسَى زَكَرِيَّا بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ وَكَفِيلُ أُمِّكَ، إِذْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ فَيَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقاً، وَنَظِيرُكَ يَحْيَى مِنْ خَلْقِي[3] ، وَهَبْتُهُ لأُمِّهِ بَعْدَ الْكِبَرِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ بِهَا، أَرَدْتُ بِذَلِكَ أَنْ يَظْهَرَ لَهَا سُلْطَانِي، وَتَظْهَرَ فِيكَ قُدْرَتِي، أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ أَطْوَعُكُمْ لِي[4] وَأَشَدُّكُمْ خَوْفاً مِنِّي.

يَا عِيسَى تَيَقَّظْ وَلا تَيْأَسْ مِنْ رَوْحِي، وَسَبِّحْنِي مَعَ مَنْ يُسَبِّحُنِي، وَبِطَيِّبِ الْكَلامِ فَقَدِّسْنِي.

يَا عِيسَى كَيْفَ يَكْفُرُ الْعِبَادُ بِي، وَنَوَاصِيهِمْ فِي قَبْضَتِي، وَتَقَلُّبُهُمْ فِي أَرْضِي ؟ يَجْهَلُونَ نِعْمَتِي، وَيَتَوَلَّوْنَ عَدُوِّي، وَكَذَلِكَ يَهْلِكُ الْكَافِرُونَ.

---

[1] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٢): يا عيسى ! خلّص نفسك بالرجوع إليّ حتى تنتجز ثواب ما عمله العاملون ...

[2] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٢): هناك زيادة في نص الكليني كالتالي: يا عيسى ! كن خليقًا بكلامي، ولدتك مريم ...

[3] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٢): ونظيرك يحيى من خلقه ...

[4] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٣): أحبكم إليّ أطوعكم، وأشدّكم خوفًا مني.

يَا عِيسَى إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنٌ مُنْتِنُ الرِّيحِ، وَحَسُنَ فِيهَا مَا قَدْ تَرَى مِمَّا قَدْ تَذَابَحَ عَلَيْهِ الْجَبَّارُونَ[1] ، وَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا فَكُلُّ نَعِيمِهَا يَزُولُ، وَمَا نَعِيمُهَا إِلا قَلِيلٌ.

**يَا عِيسَى ابْغِنِي عِنْدَ وِسَادِكَ تَجِدْنِي**، وَادْعُنِي وَأَنْتَ لِي مُحِبٌّ، فَإِنِّي أَسْمَعُ السَّامِعِينَ، أَسْتَجِيبُ لِلدَّاعِينَ إِذَا دَعَوْنِي.

يَا عِيسَى خَفْنِي وَخَوِّفْ بِي عِبَادِي، لَعَلَّ الْمُذْنِبِينَ أَنْ يُمْسِكُوا عَمَّا هُمْ عَامِلُونَ بِهِ، فَلا يَهْلِكُوا إِلا وَهُمْ يَعْلَمُونَ[2] .

يَا عِيسَى ارْهَبْنِي رَهْبَتَكَ مِنَ السَّبُعِ وَالْمَوْتِ الَّذِي أَنْتَ لاقِيهِ، فَكُلُّ هَذَا أَنَا خَلَقْتُهُ، فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.

يَا عِيسَى إِنَّ الْمُلْكَ لِي وَبِيَدِي، وَأَنَا الْمَلِكُ، فَإِنْ تُطِعْنِي أَدْخَلْتُكَ جَنَّتِي فِي جِوَارِ الصَّالِحِينَ.

يَا عِيسَى إِنِّي إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ، لَمْ يَنْفَعْكَ رِضَا مَنْ رَضِيَ عَنْكَ، وَإِنْ رَضِيتُ عَنْكَ لَمْ يَضُرَّكَ غَضَبُ الْمُغْضَبِينَ.

يَا عِيسَى اذْكُرْنِي فِي نَفْسِكَ أَذْكُرْكَ فِي نَفْسِي، وَاذْكُرْنِي فِي مَلَئِكَ[3] أَذْكُرْكَ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلأِ الآدَمِيِّينَ.

---

[1] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٣): يا عيسى ! إنّ الدنيا سجن منتن الريح، وحش فيها ما قد تذابح عليه الجبارون ...

[2] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٣): فلا يهلكوا إلا وهم عاملون.

[3] وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٤): واذكرني في ملأ ...

# يا نفس لا تحملي وزر النوم

يا نفسُ ! أنتِ صعبة للغاية، لا تقوّمكِ النصيحة ولا الموعظة، وعلى الأخصّ في مجالات النوم والشهوة. إنّ نصائحي لكِ ربّما تمهّدك للعمل الكثير، وذلك في السير والسلوك. فأنتِ تحتاجين إلى الذكر الدائم المستمرّ والجهاد الأكبر مع نفسكِ، وعلى الأخصّ في مجالات النوم والشهوة.

يا نفسُ ! أنتِ مقيّدة مكبّلة بالسلاسل والأغلال، بنظام عصبيّ فسيولوجيّ، قد غرس فيه الناس الذين حواليكِ والذين تربّيتِ معهم، مفاهيم خاطئة مضلّلة من طفولتكِ، وعلى هذا تكوّنت شخصيّتكِ، ونفذ كلّ ذلك في عقلكِ الباطن، ولهذا تعوّجتِ وهويتِ في الضلال البعيد.

أمّا النوم، فلكي تتيقّني أنّه من الله وحده، وليس منكِ، لذلك تحتاجين إلى السهر والسهاد في الذكر والأوراد والجهاد الأكبر، حتى تصومي عن النوم، وتقفي مقابل سلطان النوم، ومقابل هذا التيّار الجارف.

يا نفسُ ! إذا استسلمتِ لله بحقّ، والذي هو معطي النوم وجاعله، وخالق النوم وبارئه، ذهب عنكِ قلق النوم وقلق عدم النوم، وطابت حياتكِ، وطاب نومكِ، واكتفيتِ من النوم، وقنعتِ بحدّ الكفاية من النوم.

يا نفسُ ! اسمعي نذرًا يسيرًا من أشعاري في جهاد النوم من كتابي (السموات السبع)[1] في فصول (الشهود) و (جهاد النوم)، حتى تبدأي بالعمل الجادّ الشاقّ الدؤوب، كي تتقوّمي من اعوجاجكِ ومن ضلالكِ البعيد كالتالي:-

٥٨١ بَاتُوا لَيَالِيهِمْ بِذِكْرِ حَبِيبِهِمْ فَتَلَقّوُا الأَذْكَارَ مِنْ مَوْلاهَا
٥٨٢ أَلِفُوا السُّهَارَ وَقَاوَمُوا سُلْطَانَهَا سُلْطَانَ نَوْمٍ كَرّ فَرّ وَغَاهَا [2]
٥٨٣ فَبَكَوْا وَأَنّوا [3] فِي سُؤَالِ حَبِيبِهِمْ قَدْ أَلْحَفُوا [4] فِي سُؤْلِهِمْ وَرَجَاهَا
٥٨٤ وَاسْتَضْعَفُوا عِنْدَ السُّهَادِ قُوَاهُمُ فَبَكَوْا لِضُعْفِ نُفُوسِهِمْ وَعَيَاهَا
٥٨٥ وَتَوَسّلُوا فَرَجاً مِنْ اللهِ لَهُمْ وَاسْتَجْلَبُوا رُحْمَاهُ فِي تِبْكَاهَا [5]
٥٨٦ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْصُرَنَّ عَبِيدَهُ فَبِمَنْ يَلُوذُ العَبْدُ فِي شَكْوَاها
٥٨٧ فَشَكَوْا إِلَى البَارِي بِأَنْ هُوَ قَدْ بَرَا [6] فِي السَّالِكِينَ عَيَاءَهُمْ وَقُوَاهَا
٥٨٨ قَالُوا بِأَنّكَ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُهَا فَأَعِدْ عَلَيْنَا هِمَّةً مِنْ طَهَ
٥٨٩ فَقَدِ اسْتَمَدّوا مِنْ مَعِينِ خُلُودِهَا بِنَحِيبِهِمْ وَأَنِينِهِمْ وَشَجَاهَا
٥٩٠ حَوْلَ الرَّوَاسِي الطّوْدِ فِي مِحْرَابِهِمْ لانَ الحَدِيدُ لِعَبْدِهِ بِوِلاهَا
٥٩١ سَلَكُوا سَبِيلَ خَلِيلِهِمْ فِي ذِلّةٍ مُسْتَعْطِفِينَ خَلِيلَهُمْ بِبُكَاهَا
٥٩٢ صَلُّوا كَمَا قَالَ الإِمَامُ بِجَذْوَةٍ [1] قَرَأُوا كَمَا قَالَ الإِمَامُ دُعَاهَا

---

[1] صفحات ٧٠-٧٢.
[2] وغى: حرب، يعني في حالة كرّ وفرّ كما في الحرب.
[3] أنَّ: صوت لألم وتأوه.
[4] ألحف: ألحّ.
[5] التبكاء: البكاء أو كثرته.
[6] برأ: خلق.

٥٩٣ بَـــدَأُوا جِهَـــادَ النّـــومِ فِي سَهَـــرَاتِهِمْ وَتَهَجّـــــدُوا بِالنّـــــافِلاتِ عِشَـــــاها

٥٩٤ صَـــعُبَتْ عِنَـــانُهُمُ لِحَـــوْلِ مَنَـــامِهِمْ فَـــالنّوْمُ مِـــنْهُمْ فِي بَـــلًا وَعَنَاهـــا [٢]

٥٩٥ وَجُنُـــوبُهُمْ مُتَجَافِيَـــاتٌ مَضْـــجَعاً وَظُهُـــورُهُمْ مُتَجَافِيَـــاتُ وِطَاهـــا

٥٩٦ قَـــامُوا لِـــرَبّهِمُ قِيَامـــاً لَـــيْلَهُمْ يَسْـــتَقْبِلُونَ بِوَجْهِـــهِمْ أَللّٰهَ

٥٩٧ وَتَلَمّسُـــوا الْوَجْـــهَ الْكَـــرِيمَ بِقَلْـــبِهِمْ وَجْهـــاً لَهُ عَنَـــتِ الوْجُـــوُهُ عَنَاهـــا [٣]

٥٩٨ عَشِـــقُوهُ إِذْ بَصِـــرُوهُ مِـــلْءَ فُـــؤَادِهِمْ عَشِـــقُوا لَطَـــائِفَ نُـــورِهِ بِـــدُجَاها

٥٩٩ فَمَعَـــادُهُمْ مَبْـــدَاهُمُ رَبُّ الْـــوَرَى عَـــادُوا طَوَاعِيَـــةً لِـــرَبِّ وَرَاهـــا

٦٠٠ قَطَعُـــوا بِطيـــبِ جِهَـــادِهِمْ أَشْـــوَاطَهَا وَاسْـــتَنْزَلُوا رِضُـــوَانَ رَبِّ رِضَـــاها

٦٠١ فَاسْـــتَعْذَبُوا مُـــرَّ السُّهَـــادِ [٤] بِقَلْـــبِهِمْ بَـــدَأُوا مُرَاقَبَـــةً عَـــلَى مَأْتَاهـــا [٥]

٦٠٢ وَتَرَكَّـــزُوا فِي قَلْـــبِهِمِ فِي رِقْبَـــةٍ [٦] حَـــتّى تَرَاءَى نَجْمُهَـــا وَسَـــنَاها

---

[١] الجذوة: الجمرة الملتهبة.

[٢] مشقّة.

[٣] خضوع

[٤] الأرق أو قلّة النوم.

[٥] المأتى: الوجه الذي يؤتى منه يعني هنا القلب.

[٦] الرقبة: الحراسة والانتظار.

# يا نفس لا تحملي وزر الشهوة

يا نفسُ ! أنتِ صعبة للغاية، لا تقوّمكِ النصيحة ولا الموعظة، وعلى الأخصّ في مجالات النوم والشهوة. إنّ نصائحي لكِ ربّما تمهّدك للعمل الكثير، وذلك في السير والسلوك. فأنتِ تحتاجين إلى الذكر الدائم المستمرّ والجهاد الأكبر مع نفسكِ، وعلى الأخصّ في مجالات النوم والشهوة.

يا نفسُ ! أنتِ مقيّدة مكبّلة بالسلاسل والأغلال، بنظام عصبيّ فسيولوجيّ، قد غرس فيه الناس الذين حواليك والذين تربّيت معهم، مفاهيم خاطئة مضلّلة من طفولتكِ، وعلى هذا تكوّنت شخصيّتكِ، ونفذ كلّ ذلك في عقلكِ الباطن، ولهذا تعوّجتِ وهويتِ في الضلال البعيد.

يا نفسُ ! أنت تركّزين على الشهوة والشهوة تهرب منكِ، أو بالأحرى، تتشوّه الشهوة عندكِ إذ لا تحمل بركات اللذّة الربانيّة. يا نفسُ ! أنتش تغفلين من أنّ الشهوة ملك الله، وهو الذي وضع فيكِ هذه الشهوة، فأين أنتِ من الله المعطي الوهّاب ! هو الذي أعطى و وهب، وأنت في غفلة عنه، وتظنّين طيشًا وجهلًا أنّ الشهوة منكِ.

يا نفسُ ! لقد اختلط عليكِ الحابل بالنابل. منعوكِ من الطفولة عن الشهوة، فصار عندكِ عقدة، حيث حسبت هذا المنع لمطلق الشهوة، وهو ليس كذلك، وإنّما كان الهدف أن تدّخري الشهوة وتحفظي الشهوة للحظة الزواج الشرعي، وعدم تبديد طاقاتكِ في ممارسة الشهوة الحرام.

وكلّ هذا التفكير المعوجّ بقي في عقلكِ الباطن، يكبّلك بالحديد ويقيّدكِ بالقيود، ويحرمكِ من اللذّة العاديّة الحلال الطيب، في إطاره الشرعي الحلال. يا ليتكِ تكونين مع الله العليّ القدير، خالق الشهوة، وجاعلها لحكمة عظيمة، كي تسعدي في حياتكِ أولًا، ثمّ يبقى الجنس البشريّ ولا ينقرض.

يا نفسُ ! كلّ عقدك النفسيّة بسبب هذا الفهم الخاطئ من الطفولة، حيث سمعتِ أشياء عن المنع، ثمّ عمّمت المنع ليشمل مطلق الشهوة. يا نفسُ ! إنّه ليس كذلك. فإذا تيسّرت لكِ فرص الإطار الشرعي، وما أسهلها في الدين الإسلامي ! وما أصعبها عند تقاليد البشر المقيّدة المكبّلة ! فضعي الله خالق الشهوة نصب عينيكِ وفي قرارة نفسكِ، فوالله إنّ اللذّات في حضور الله أكثر بركة أضعافًا مضاعفة من اللذّات الباردة الميّتة.

إنّ الشيطان بدأ منذ طفولتكِ بافتراضاته المضلّلة الهدّامة، والانحرافات السيّئة المعقّدة، والتي يحدث بسببها ألف ألف إثم، وما أكثر ما ترتكب المعاصي والذنوب بسبب ذلك !

يا نفسُ ! إذا استسلمتِ لله بحقّ، والذي هو معطي الشهوة وجاعلها، وخالق الشهوة وبارئها، ذهب عنكِ الآلاف من أصناف قلق الشهوة وقلق عدم الشهوة، وطابت حياتكِ، وتضاعفت قواكِ أضعافًا مضاعفة، وقنعتِ بحدّ الكفاية من الشهوة. فلا شبق ولا فجور ولا رهبانيّة في الدين، بل أمرٌ بين الأمرين، والاعتدال فضيلة.

يا نفسُ ! إذا سمعتِ شيئًا عن كبح الشهوات فهو حقيقة، لأنكِ إن لم تكبحيها طغت الشهوات وتغلّبت عليكِ، وفسقتِ وفجرتِ، وتبدّدت قواكِ وطاقاتكِ. وهذا طبعًا لا يجوز، بل يجب

أن تكون هذه القوى تحت سيطرتكِ، وتكوني أنتِ المالكة، لا أن تكون الشهوات هي المالكة عليكِ. ويجب أن تسلكي الشهوات في الحلال الطيّب الطاهر.

يا نفسُ ! اسمعي نذرًا يسيرًا من أشعاري في جهاد الشهوة من كتابي (السموات السبع)[1] في فصل (رؤية الذنوب)، حتى تبدأي بالعمل الجادّ الشاقّ الدؤوب، كي تتقوّمي من اعوجاجكِ ومن ضلالكِ البعيد كالتالي:-

٢٢٤ حَجَبَتْهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ سَرَابِهَا وَالنَّفْسُ فِي رَغَبَاتِهَا وَمُنَاهَا
٢٢٥ وَغَرَائِزٌ فِي فَرْجِهِمْ قَدْ أَفْرَطَتْ حَتّى تَمَادَتْ فِي لَظَى فَحْشَاها
٢٢٦ وَإِسَارَةُ النَّظَرِ الْحَرَامِ بِشَهْوَةٍ وَإِثَارَةً لِغَرَائِزٍ وَلِبَاهَا [2]
٢٢٧ سَاقَتْهُمُ فِي المُنْكَرَاتِ وَحَبَّذَا قَدْ أَوْقَفُوا تَيَّارَهَا وَعَنَاهَا
٢٢٨ وَهُمُ لَأَشْبَهُ بِالْبَهِيمَةِ شَهْوَةً وَتَجَرَّدُوا مِنْ عَقْلِهَا وَحَيَاهَا
٢٢٩ وَغَدَتْ قُلُوبُهُمُ بِقَسْوَةِ غَابَةٍ كَالذِّئْبِ لا رِفْقاً ولا رُحْمَاهَا [3]

[1] صفحة ٣٩.
[2] الباه: الشهوة الجنسيّة.
[3] الرحمى: رقّة القلب.

# النظرة تزرع الشهوة

يا نفسُ ! إذا سمعتِ شيئًا عن كبح الشهوات فهو حقيقة، لأنّكِ إن لم تكبحيها طغت الشهوات وتغلّبت عليكِ، وفسقتِ وفجرتِ، وتبدّدت قواكِ وطاقاتكِ. وهذا طبعًا لا يجوز، بل يجب أن تكون هذه القوى تحت سيطرتكِ، وتكوني أنتِ المالكة، لا أن تكون الشهوات هي المالكة عليكِ. ويجب أن تسلكي الشهوات في الحلال الطيّب الطاهر.

يا نفسُ ! ابتعدي عن النظرة فإنّها تزرع في قلب صاحبها الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. يا نفسُ ! لا تدخلي نفسكِ في الامتحانات الصعبة، فتحاشي مواقع النظرة حتى لا يعمل الشيطان عليكِ. كوني قويّة صامدة، وغضّي النظر عن الحرام.

اسمعي ما يقوله الإمام الصادق عليه السلام: <<فما أقلّ من يرى بعينيه الشهوات ولا يعمل بقلبه المعاصي>> ! فإذا بدأ القلب بالمعاصي لا ينتهي به الأمر إلّا إلى الكبائر من الذنوب، والعياذ بالله !!!

قال الإمام الصادق عليه السلام[1] :

[2] كان المسيح عليه السلام يقول لأصحابه:

إِنْ كُنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي فَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَلَسْتُمْ لِيَ بِإِخْوَانٍ، إِنِّي إِنَّمَا أُعَلِّمُكُمْ لِتَعْمَلُوا لا لِتَعْجَبُوا إِنَّكُمْ لا تَبْلُغُونَ مَا تَأْمُلُونَ إِلا بِصَبْرِكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ، وَلا تَنَالُونَ مَا تُرِيدُونَ إِلا

[1] بحار الأنوار: ٣٢٨/١٤ - أمالي المفيد: ١٢٢ - الزهد الكبير للبيهقي فَصْلٌ : فِي تَرْكِ الدُّنْيَا وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ.

[2] من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام.

بِتَرْكِكُمْ مَا تَشْتَهُونَ، إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ شَهْوَةً، وَكَفَى بِهَا لِصَاحِبِهَا فِتْنَةً، طُوبَى لِمَنْ كَانَ بَصَرُهُ فِي قَلْبِهِ وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ فِي بَصَرِ عَيْنَيْهِ، مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَدْنَى مَا هُوَ آتٍ، وَيْلٌ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَمُوتُ وَتَتْرُكُهُ، وَيَثِقُ بِهَا وَتَغُرُّهُ، وَيَأْمَنُهَا وَتَمْكُرُ بِهِ، وَيْلٌ لِلْمُغْتَرِّينَ قَدْ آزَفَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ وَجَاءَهُمْ مَا يُوعَدُونَ وَفَارَقُوا مَا يُحِبُّونَ فِي طُولِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَالْخَطَايَا عَمَلَهُ كَيْفَ يَفْتَضِحُ غَدًا بِرَبِّهِ، وَلا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ كَانَتْ لَيِّنَةً ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ، لا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَهَيْئَةِ الأَرْبَابِ، فَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَهَيْئَةِ الْعَبِيدِ، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلانِ : مُعَافًى وَمُبْتَلًى، فَاحْمِدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلاءِ، مَتَى نزل الْمَاءُ عَلَى جَبَلٍ إِلا يَلِينُ لَهُ ؟ وَمُذْ مَتَى تَدْرِسُونَ الْحِكْمَةَ وَلا تَلِينُ لَهَا قُلُوبُكُمْ ؟ بِقَدْرِ مَا تَوَاضَعُونَ، وَبَقَدْرِ مَا تَحْرُثُونَ كَذَلِكَ تَحْصُدُونَ، عُلَمَاءُ السُّوءِ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ الدِّفْلَى تُعْجِبُ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَتَقْتُلُ مَنْ يَأْكُلُهَا، كَلامُكُمْ شِفَاءٌ يُبْرِئُ الدَّاءَ وَأَعْمَالُكُمْ دَاءٌ لا يُبْرِئُهُ شِفَاءٌ، جَعَلْتُمُ الْمُعَلِّمَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ مثل عَبِيدِ السُّوءِ، بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ وَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ تَنْتَفِعُوا بِمَا أَقُولُ وَأَنْتُمُ الْحِكْمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ وَلا تَدْخُلُ آذَانَكُمْ، وَإِنَّمَا بَيْنَهُمَا أَرْبَعُ أَصَابِعَ، وَلا تَعِيهَا قُلُوبُكُمْ، فَلا أَحْرَارَ كِرَامَ وَلا عَبِيدَ أَتْقِيَاءَ.

# السير والسلوك

يا نفسُ ! لقد ذكرتُ لكِ في الفصول السابقة عن السير والسلوك وقلتُ لكِ: إنّ نصائحي لكِ ربّما تمهّدك للعمل الكثير، وذلك في السير والسلوك. فأنتِ تحتاجين إلى الذكر الدائم المستمرّ والجهاد الأكبر مع نفسكِ.

يا نفسُ ! لقد قلتُ لكِ أنتِ صعبة جدًّا، لا تقوّمكِ النصيحة ولا الموعظة، ولذلك لا بدّ من السير والسلوك، والدخول في فرن التربية العرفانيّة والرياضات الصعبة، حتى تولدي من جديد. فلقد قال عيسى عليه السلام: <<لا يدخل ملكوت الله من لم يولد مرتين>>.

اسمعي ما يقوله نبيّ الله إلياس عليه السلام، من كتابي هكذا تكلم عيسى عليه السلام:

واستمر عيسى قائلًا: بحقّ الحيّ الذي لا يموت، إنّه كان هناك في زمن نبي الله إلياس عليه السلام، اثنا عشر جبلًا، يقطنها ١٧٠٠٠ أو سبع عشر ألف فريسيّ، لم يوجد فاسد واحد بينهم، بل الكلّ كانوا ممن اصطفاهم الله واختارهم لخدمته وعبادته.

بيد أنّه الآن، وحينما يكون في إسرائيل أكثر من مئة ألف فريسيّ، هل يرضي الله أن يكون هناك واحد فقط من كلّ ألف فريسي، من المصطفين من قبل الله تعالى !

فأجاب الفريسيّون في سخط وغضب وغيظ وحنق: إذن نحن كلّنا فاسدون وأشرار ! أنتَ تستهجن ديننا وتنكره.

أجاب عيسى عليه السلام: إنّني لا أستهجن دينكم، بل بالعكس أستحسن دين الفريسيّين الصادقين، وأنا حاضر لأن أموت دونهم. تعالوا ننظر إذا كنتم فريسيّين أو لا ! إنّ خليل الله إلياس، بالتماس من حواريّه إليسع، كتب كتيّبًا وضمّنه جميع الحكمة البشريّة وناموس الله.

وارتبك الفريسيّون وانزعجوا عند سماعهم اسم كتاب إلياس، لأنّهم كانوا يعرفون ذلك الإسم من خلال تقاليدهم الدينيّة، بيد أنّهم لم يلتزموا بتلك العقيدة ولم يراعوها. لذلك رغبوا باشتياق في المغادرة، بحجة الأعمال الشخصيّة.

فقال عيسى عليه السلام: لو كنتم فريسيّين حقًّا، لتركتم كلّ أعمالكم الشخصيّة، لتنصتوا إلى كتاب إلياس، لأنّ الفريسيّ يبحث عن الله فقط. فارتبكوا وتحيّروا وأصيبوا بخزي وخجل، ومن ثمّ تأخّروا وتمهّلوا، حتى ينصتوا إلى عيسى عليه السلام. فقال عيسى عليه السلام ثانية:

إنّ عبد الله إلياس (وكذلك يبدأ الكتيّب) يكتب هذه الوصايا، لكلّ من اشتاق إلى السير والسلوك إلى الله بارئهم:

> كلّ من أراد أن يتعلّم الكثير، كانت خشيته من الله جدّ قليل[1] . لأنّ من يخشى الله يقنع بأنّ يعرف ما يشاؤه الله فقط لا غير.
>
> كلّ من يبحث عن الله، لا ينشد الكلمات الجميلة، لأنّ الله لا يريد منّا شيئًا، غير أن نوجّه اللوم والتوبيخ لأنفسنا على آثامنا وذنوبنا ومعاصينا[2] .

---

[1] قال الله تعالى في سورة فاطر الآية ٢٨: { إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }. والعلماء الحقيقيّون هم الذين يركّزون على النقطة. قال الإمام الباقر عليه السلام: <<العلم نقطة كثّرها الجاهلون>>. وهناك علماء مجازيّون كثر، ولكنّهم مشتّتون في التكثير والتكاثر، ومن ثمّ الجهل، وابتعدوا عن النقطة مسافات شاسعة.

[2] العلماء المجازيون تعلّموا كلّ شيء إلّا هذا. ومن منهم من يعتبر هذا علمًا ! ومع الأسف الشديد ! يكتنزون العلوم المختلفة، ثمّ يغفلون عن أنفسهم، وعن لومها وتوبيخها، والتوجّه إلى ذنوبهم وآثامهم ومعاصيهم، وما أكثرها في

إنّ بيت الله في قلبك، حيث يوجد حبّ الله. فكلّ من اشتاق إلى الله، أغلق أبواب بيته وشبابيكه[1] وأوثق إقفالها، لأنّ الله لا يسمح لنفسه، بأن يتواجد خارج بيته، حيث لا يوجد حبّ الله. فاحفظ حواسّك، وعليك بقلبك، لأنّ الله لا يوجد خارجنا في هذه الدنيا التي تبغض الله.

إذا أردت أن تعمل عملًا صالحًا[2] فعليك بنفسك، لا يضرّك من ضلّ إذا اهتديت، ولا ينفعك أن تربح العالم كلّه، ثمّ تخسر نفسك.

---

نظر الله ! إنّهم لا يفعلون ذلك، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعًا ! ياليتهم انتبهوا إلى هذا، وقضوا حياتهم في البكاء والنحيب على ذنوبهم، حتى يرفق بهم ربّهم ويتغمّدهم برحمته ! وإنّ لم يفعلوا ذلك، بقيت ذنوبهم وآثامهم لاصقة بروحهم، سوداء داكنة لا تغادرها. بيد أنّهم إذا فعلوا ذلك، عفا الله عنهم ومحا ذنوبهم وآثامهم. يقول الإمام عليّ عليه السلام: <<<طوبى لمن لزم بيته وبكى على خطيئته>> !

إليك قصّة ملّا صدرا الشيرازي الذي كتب الكثير مما نسمّيه المعارف الإلهيّة أو العرفان النظري، بيد أنّه في آخر عمره قال: يا ليتني لم أقض ثلاثين سنة من عمري، في كتابة المعارف الإلهيّة، بل اكتفيت بهذه الآية الشريفة، وعملت بها ليل نهار وهو قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } (سورة الشمس ٩).

[1] بمعنى جمع شمله، وركّز على النقطة النورانيّة في قلبه. أو بعبارة أخرى، مارس الرياضات للتخلّص من التشتّت والتبعثر في أفكاره، وملك أفكاره وخواطره، واجتمع في داخله، وانشغل بنفسه عمّا حوله، وركّز على النقطة النورانيّة في قلبه.

أو باصطلاح العرفاء انشغل بمراقبة القلب. أو باصطلاح القرآن الكريم: { اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (سورة الإسراء الآية ١٤).

كتابك في نفسك فاقرأه ليل نهار. وأين العلوم الكثيرة من هذه الحقيقة الصادمة !

[2] المشكلة الكبيرة أنّ الناس، وعلى رأسهم العلماء المجازيّون، يفكّرون أنّ الأعمال الصالحة، هي العمل الظاهري بأحكام الدين من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، وإذا فعلوها دخلوا الجنّة. لا جرم أنّها واجبة على المسلم، وضرورية جدًّا، ولكن لا بدّ أن تؤتي ثمارها.

كلّ من أراد أن يعلّم الآخرين فليكن أصلح من غيره، لأنّه لا يمكن لنا التعلّم ممّن هو أقلّ صلاحًا منّا. فكيف يُصلح المذنب نفسه، حينما يجد الذي يعظه أسوء منه ؟

كلّ من نشد الله فليتجنّب محاورة الناس. لأنّ موسى على جبل سيناء، في عزلته الكاملة عن الناس، وجد الله، وتكلّم مع الله، كما يتكلّم الخليل إلى خليله.

كلّ من التمس الله، يكفيه مرّة في كلّ ثلاثين يومًا، أن يزور أهل الدنيا، لأنّه يكفيه يوم واحد، أن ينجز فيه أعمال سنتين، بكلّ ما يختصّ بمتطلّبات من يبحث عن الله.

إذا مشى فلينظر فقط إلى قدميه، وليغضّ الطرف عن كلّ شيء سواه.

إذا تكلّم فليمسك لسانه إلّا عمّا هو ضروري.

إذا أكل الطعام، فليقم عن المائدة وهو لا زال جائعًا، وليعمل لآخرته كأنّه يموت غدًا، وليقض وقته شاكرًا، مع كلّ زفرة وشهقة من نفسه.

فليكتف بلباس واحد من جلد الحيوانات.

فلينم ككتلة أرض على أرض عارية، وليكتف بساعتين من النوم في كلّ ليلة.

---

فالصلاة كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: <<لا صلاة إلا بحضور القلب>>. وقال صلوات الله عليه وآله: <<الصلاة معراج المؤمن>>. فأين نحن من حضور القلب، ومن معراج المؤمن ! ثمّ نحسب أنّنا نحسن صنعًا وندخل الجنة ! إنّها تمرينات فرضها الله علينا، كي ننفذ إلى أعماق أنفسنا، ونلزمها ونواظب عليها، كي لا نخسر أنفسنا ونربح غيرها.

فليبغض نفسه فقط لا غير، وليستنكر ويذمّ نفسه فقط لا غير.

فليقف في الصلاة في خشية من ربّه، كما أنّه أمام الله في يوم القيامة.

فاعمل بهذه الوصايا وبالناموس، الذي أنزله الله على موسى، من أجل خدمة الله وعبادته. وإذا فعلت سوف تجد الله، بحيث أنّك في كلّ مكان وزمان، ستشعر بأنّك في الله وأنّ الله فيك.

أيّها الفريسيّون هذا هو كتاب إلياس، وأقول لكم مرّة أخرى، إن كنتم فريسيّين، لاستبشرتم بقدومي، لأنّ الله أنزل رحمته على المذنبين، بسبب قدومي.

# الأرض وحدة حيّة

شاءت الإرادة أن توجد ظاهرتها المشهودة المحسوسة الملموسة، وكانت هذه الظاهرة هي الكرة الأرضيّة الحيّة بكلّ عناصرها التي تشكّل هذه الوحدة الحيّة. وليس بين هذه الوحدة الحيّة المشهودة المحسوسة الملموسة وبين الإرادة التي أوجدتها فرق، اللهم إلّا أنّ الإرادة جوهرها، وأنّ الإنسان لا يرى الإرادة ولا يلمسها، ولكنّه يرى الكرة الأرضيّة المشهودة المحسوسة الملموسة ويحسّها ويلمسها. وفي الحقيقة فإنّ الإرادة أوجدت حياة أو وحدة حيّة تسمّى الكرة الأرضيّة.

لقد تمكّن العلم الحديث منذ الخمسينات من القرن العشرين من صنع سفن فضائيّة تخرق الغلاف الجويّ للأرض، وتتغلّب على الجاذبيّة الأرضيّة، وما برحت تحوم حول الأرض. ومنها ما وصلت فعلًا إلى القمر - وأنزلت روّادًا على القمر - ومنها ما وصلت إلى المريخ - وأنزلت مركبات عليها لتصوير ما على سطحها - ومنها ما وصلت إلى الزهرة والمشتري وزحل وغيرها، تدور حولها وتؤدّي وظائف علميّة معيّنة.

ففي هذه العقود الستّة الأخيرة أُطلقت أقمار إصطناعيّة كثيرة دارت حول الأرض ولا زال الكثير منها تدور. وأُطلقت محطّات فضائيّة كمثل محطّة مير Mir الروسيّة، وبعدها المحطّة الفضائيّة الدوليّة ISS. وأكثر هذه السفن الفضائيّة تدور حول الأرض في الفضاء الخارجي خلال الستين سنة الماضية. وكانت بعض هذه السفن مأهولة بروّاد فضاء، يؤدّون وظائف علميّة معيّنة، ويراقبون الكرة الأرضيّة من ذلك الارتفاع الشاهق، بل ويصوّرونها. وأصبحت صور كرتنا الأرضيّة الجميلة الرائعة معروفة ومتداولة بين الناس.

وكان تلسكوب هابل Hubble - سمّي تيمّنا باسم العالم الفلكي الأمريكي مكتشف نظرية توسّع الكون ـ ولا زال، يصوّر النجوم والكواكب والمجرّات، منذ أوائل التسعينات من القرن العشرين. بل وصلت أجهزته المصوّرة العملاقة كاميرات هابل Hubble إلى أعماق الفضاء، وأتحفتنا بصور رائعة جميلة لمجرّات واسعة كبيرة سمّوها الكازار Quasar، من مسافة حوالي اثني عشر مليار سنة ضوئيّة. بمعنى أنّ الصور التي وصلت إلينا تتعلّق باثني عشر مليار سنة قبل زماننا هذا، لأنّ ضوء هذه المجرّات سافر هذا الزمان الطويل حتى وصل إلينا اليوم. علمًا بأنّ النور يسافر بسرعة هائلة مقدارها حوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية.

وصوّرت كاميرات هابل Hubble، قبل هذا، النجوم العملاقة المتفجّرة، التي أنهت دورتها الحياتيّة العادية وانفجرت، ثمّ انحسرت السحب الهائلة عن نقطة تسمّى (نقطة الفرد)، والتي تتركّز فيها معظم كثافة النجم الهائل، والتي هي بداية تكوّن الثقب الأسود Black Hole.

وسوف يُستبدل هابل Hubble في عام ٢٠١٣ بتلسكوب أقوى منه، يسمّى مقراب جمس ويب James Webb الفضائي ـ سمّي تيمّنا باسم العالم الإنكليزي مخترع البخار.

وهناك تلسكوبات عملاقة أخرى أُطلقت منذ التسعينات من القرن العشرين. ومنها تسلكوب جاندرا Chandra – سمّي تيمّنا باسم العالم الفلكي الهندي ـ الذي يصوّر أشعّة جاما Gamma-ray والأشعّة السينية X-Ray في أعماق الفضاء. وتلسكوب إكس إم إم نيوتن XMM-Newton – سمّي تيمّنا باسم العالم الإنكليزي المعروف مكتشف الجاذبيّة، الذي يصوّر الأشعة السينية X-Ray في هذا العمق الهائل.

وهما في الحقيقة مختبرات فضائيّة، واكتشفتا ما لم تستطع أجهزة هابل Hubble، التي تصوّر أشعة النور العادية، من اكتشافها. اكتشفتا ما لا تستطيع أعيننا رؤيته، رغم وجودها مثل الأشعّة السينية X-Ray وأشعّة جاما Gamma-ray ، التي تكوّنت وانبثقت بفعل المواد الهاربة من جاذبيّة الثقوب السوداء، والتي تحوم حول الثقب الأسود Black Hole بسرعات هائلة جدًّا تقارب سرعة الضوء. علمًا بأنّ جاذبيّة

الثقوب السوداء هائلة عملاقة لا يستطيع حتى الضوء الهروب منها. ولذلك لا نرى النور هناك، بمعنى أنّنا لا نرى[١] هناك شيئًا رغم وجودها هناك، ولذلك سمّيت بالثقوب السوداء.

وفي ٢٥ مارس عام ٢٠٠٠ أرسلت ناسا NASA قمرًا اصطناعيًّا يسمّى ايميج IMAGE، مزوّدًا بجهاز يسمّى هينا HENA. واستطاع هذا الجهاز تصوير الأيونات الموجبة والإلكترونات السالبة التي تقع فوق الطبقة الجوّية للأرض، والتي تمتدّ مسافات شاسعة من الأرض[٢] .

وعن قريب سوف نرى بأعيننا الكرة المغناطيسيّة للأرض وشكلها وحركاتها وديناميكياتها وعناصرها ومركّباتها الكيماويّة. وبذلك يستطيع العلم تطوير التنبّؤات الجوّية والإنذارات المسبقة للأعاصير الكهرومغناطيسيّة، التي عطّلت في الماضي الاتّصالات الإلكترونيّة وحتى شبكات توزيع الطاقة الكهربائيّة على الأرض.

ولقد أخذت صور للآليّة الخفيّة في الميدان المغناطيسي للأرض، ومنها الذيل الخفيّ للغاز المكهرب. هذا الذيل يتّجه من الأرض إلى الشمس. وهو عبارة عن بلازما Plasma أو غازات شفّافة مكهربة. والتقنية التصويريّة الجديدة تقدّم لنا مناظر لم يسبق لها مثيل في التاريخ العلمي من غازات شفّافة مكهربة محبوسة في الميدان المغناطيسي للأرض، أو بعبارة أخرى **صورًا لأوّل مرّة عن الأعاصير المغناطيسيّة للكرة الأرضيّة.**

الكرة المغناطيسيّة للأرض تتحكّم في سلوكيّات العناصر المكهربة في الفضاء الخارجي القريب من الأرض، **وتحفظ كوكبنا من الرياح الشمسيّة**، وهي عبارة عن بلازما Plasma أو غازات مكهربة تأتي إلينا من سطح الشمس. الانفجارات التي تحدث على الشمس تؤثر على كرتنا المغناطيسيّة

---

[١] إنّنا نرى شيئًا إذا كان هناك نور على ذلك الشيء، أمّا إذا لم يكن نور فلا نرى الشيء البتّة.

[٢] كتابي (ما هو سرّ الحياة) صفحات ١٥ إلى ٢٠.

وتملؤها بالطاقة، محدثة بذلك الأعاصير المغناطيسيّة على الأرض، والتي تؤثر أحيانًا على الأقمار الاصطناعيّة والاتّصالات ونظم الطاقة.

إنّه من الصعوبة بمكان أن تراقب هذا المنظر العملاق من النشاطات في هذه المنطقة الواسعة، لأنّ الكرة المغناطيسيّة للأرض تمتدّ إلى ما وراء القمر في الجانب الليلي من الأرض. كان من المحال أن ترى الصورة الكاملة قبل ظهور القمر الاصطناعي ايميج IMAGE. وكانت الوسائل آنذاك ناقصة بالنسبة لعلماء التنبّؤات الجويّة، بل بالأحرى كانت تعطيهم صورة مضلّلة عن الكرة المغناطيسيّة للأرض وعن أعاصيرها المغناطيسيّة.

فبإمكان العلم الآن أن يرى الصورة كاملة أمامه، وأن يرى التجمّعات الحاشدة من العناصر المكهربة حول الأرض بأطوال أمواج لا تحصى، وأن يرى الطاقات في فترة زمان لا تتعدّى بضع دقائق، وأنّ هذا الأمر كافٍ لتتبّع الديناميكيّات وحركات التقلّص والتمدّد في الكرة المغناطيسيّة للأرض.

إنّ الكرة المغناطيسيّة للأرض تحبس في جوفها الغازات المكهربة أو ما يسمّى بلازما Plasma، وإنّ للأرض تركيبًا في طرفه يشبه الذيل مليئًا بسحب بلازما Plasma تكوّنت من بعض الغازات التي تسيل في اتّجاه الشمس. ويعتقد بأنّ هذا الذيل هو عبارة عن الغازات المكهربة الراجعة إلى الشمس، والتي تكوّنت بسبب الرياح الشمسيّة التي هوت على الكرة المغناطيسيّة للأرض وشوّهت شكلها، وتسبّب تبعًا لذلك ردّ فعل (بلازمي) برجوع بعض الغازات المكهربة إلى الشمس نفسها.

ولفهم هذه الظاهرة خذ على سبيل المثال قطرة ماء غيث ينهمر على الأرض. فهي في البداية كرويّة الشكل، ولكن بسبب زيادة السرعة الحاصلة من جاذبيّة الأرض، فهي تلقى مقاومة من الهواء والتي تؤثّر على القطرة وتغيّر شكلها، بحيث أنّ الماء في داخل القطرة يجري بقوّة من (رأس) القطرة إلى (ذيلها). ولكن غشاء القطرة أو ما يسمّى خاصيّة (توتر سطح الماء) يمنع معظم الماء في داخل القطرة

من البعثرة من ناحية (الذيل) ، فتكون النتيجة ردّ فعل قويّ، وهو رجوع الماء بقوّة من (الذيل) إلى (الرأس) في داخل القطرة نفسها. أي أنّ قطرة الماء يتغيّر شكلها من كرويّ إلى ما يشبه المخروطيّ، وهو بالضبط ما يحدث للكرات المغناطيسيّة على أثر الغازات المكهربة القادمة من خارجها.

فالرياح الشمسيّة ـ التي تسقط من ارتفاع شاهق ـ تشوّه الكرة المغناطيسيّة للأرض على نفس المنوال، بحيث أنّها تتقلّص على الجانب النهاري من الأرض على شكل (رأس) قطرة ماء مطر. أمّا على الجانب الليلي من الأرض فيتكوّن الذيل الطويل إلى ما وراء القمر، على شكل (ذيل) قطرة ماء مطر.

إنّ الغازات المكهربة بلازما Plasma القريبة من الحدود الخارجيّة للكرة المغناطيسيّة للأرض تسحب سحبًا مع الرياح الشمسيّة، ولكنّها تدور حول الأرض وترجع بقوّة في اتّجاه الشمس. وهذه الحركة حول الأرض تشكّل ظاهرة الذيل على طرف الكرة المغناطيسيّة للأرض.

إنّ الأعاصير المغناطيسيّة تحدث عندما تضغط الرياح الشمسيّة على الكرة المغناطيسيّة للأرض، مسبّبة بذلك تمدّدًا على الجانب الليلي من الأرض، وكردّ فعل تندفع الغازات المكهربة بلازما Plasma بقوّة فائقة من (الذيل) في اتّجاه الأرض. تمامًا كما يحدث في قطرة ماء المطر عندما يرجع الماء بقوّة من (ذيل) القطرة إلى (رأس) القطرة في داخل القطرة نفسها. ونتيجة لهذا الاندفاع القويّ ترتفع درجات الحرارة في الغازات المكهربة بلازما Plasma إلى مئات الملايين درجة مئويّة، وتدور حول الأرض حاملة ملايين (أمبير) من الكهرباء.

وبفضل الأقمار الاصطناعيّة ستكون هناك معلومات لا تحصى تؤهّل العلماء بأن يكتشفوا الأبعاد الثلاثة للفضاء الخارجي القريب من الأرض، وأن يكتسبوا آفاقًا جديدة من الفهم والمعرفة للتفاعلات الموجودة بين الأرض والشمس.

# روعة الأرض ونظريّة جايا

وبعد هذه النظرة والتفحّص، ومقارنة مع النجوم والكواكب الأخرى، كانت الأرض أجمل وأروع سيّارة في المنظومة الشمسيّة. وكان هذا المنظر الجميل الخلّاب يستهوي روّاد الفضاء، ويحبّب الكرة الأرضيّة إليهم، ويزيدهم شوقًا وحنينًا إليها.

وكانوا يتحسّرون على سكّانها من بني البشر، لأنّهم لا يقدّرون هذه الجوهرة النفيسة التي يعيشون عليها، ويقاتلون بعضهم بعضًا، ويقتلون الملايين من أنفسهم، كما فعلوها في الحربين العالميتين الأولى والثانية. وكما يفعلونها الآن في سوريا والعراق وليبيا واليمن وغيرها الكثير.

وكانوا يتحسّرون على سكّانها من بني البشر لأنّهم لا يعيرونها أيّ اهتمام، ويستغلّون مواردها أبشع استغلال، ويلوّثون فضائها وهوائها أبشع تلويث، وكلّ ذلك من أجل أنانيّتهم ومنافعهم الماديّة.

وكانوا يتحسّرون على جشع الإنسان وأطماعه وسلوكه الماديّ، الذي تعوزه القيم والأخلاق، إذ أنّهم ضخّموا الصناعات لمصلحتهم، في حين أنّ أخلاقيّاتهم تقزّمت، وكانت نتيجتها أنّهم أفسدوا بيئة الأرض، وألحقوا الضرر الفادح بجوّها، وذلك بنثر الغازات السامّة في الجوّ، وأحدثوا شرخًا في طبقة أوزون الأرض.

وزادوا الطين بلّة أن هذه الغازات السامّة، ومنها ثاني أكسيد الكربون، تسبّبت في ارتفاع درجة حرارة الأرض، وذوبان الجليد في القطبين، ممّا يشكّل خطرًا في انتفاخ البحار، واحتمال أن تغمر مياه هذه البحار كثيرًا من الجزر والمناطق الساحليّة من الأرض.

ومنذ ذلك الحين برزت شريحة كبيرة من الروّاد الفضائيّين، الذين راقبوا الكرة الأرضيّة من فوق، ولاحظوا روعة هذه الوحدة الحيّة وجمالها، فاعتقدوا بنظريّة سمّوها **نظرية جايا GAÏA**. وانبثقت هذه النظرية من بين هؤلاء الروّاد، ثمّ تطوّرت بعد ذلك في الأوساط العلميّة وهي عبارة عن التالي:-

إنّ الكرة الأرضيّة وحدة حيّة تنبض بالحياة، وأنّ جميع المخلوقات الأرضيّة من البشر والحيوانات والنبات والجماد والغازات وغيرها، المستقلّة في الظاهر - مثلها كمثل الخلايا في الإنسان الحيّ - تتفاعل مع بعضها البعض، وتتطوّر وتتكامل، وتكمّل بعضها البعض، لخلق الصورة النهائيّة الرائعة للأرض، وحتى تبقى الأرض موجودة حيّة تنبض بالحياة.

كلّ يؤدّي دوره الوظيفيّ في جسم الأرض الحيّة - تمامًا كما تؤدّي الخلايا، المستقلّة في الظاهر، دورها الوظيفيّ في جسم الإنسان الحيّ - وذلك من أجل بقاء الموجود الحيّ، وهي الأرض، حيّة تنبض بالحياة، وتبقى حيّة في المنظومة الشمسيّة، تدور في فلكها حول الشمس لمليارات السنين.

وهذه المخلوقات الأرضيّة في جسم هذا الموجود الحيّ، وهي الأرض، مثلها كمثل مليارات الخلايا في جسم الإنسان الحيّ. وعلى الرغم من أنّ كلّ خليّة موجودة حيّة، مستقلّة في الظاهر، ولكن الخلايا تتعاون جميعًا في ما بينها ليبقى الإنسان حيًّا إلى يوم انقضاء أجله.

فالتركيبة المتوازنة للمخلوقات الأرضيّة تكّون العنصر الأساسيّ لحياة الأرض. فلذلك فإن أيّ اختلال في هذا التوازن ، يتبعه ما نسمّيه (انتقام الطبيعة)، من ظواهر[1] النينو El Niño و النينا La Niña المعروفة، والتي يعاني البشر منها منذ السبعينات من القرن العشرين، ويعاني أيضًا من تزايد الأمراض الجلديّة في المناطق التي حصل فيها شرخ في طبقة (أوزون) الأرض.

[1] النينو El Niño والنينا La Niña ظاهرتان مناخيتان تختلف كلّ واحدة عن الأخرى: النينو El Niño : تتصف بانتقال كتل هائلة من المياه الحارّة في المحيط الاستوائي من الشرق إلى الغرب. النينا La Niña : فتعمل العكس فهي تنشأ من اندفاع هذه المياه الساخنة نحو الشرق من المحيط الهندي وأسيا واندونيسيا وأستراليا.

وأخطر منها جميعًا ارتفاع درجة الحرارة في البحار وعلى الأرض، ومن ثمّ اختلال التوازن في التيّارات الحارّة والباردة في أعماق المحيطات، وانتفاخ البحار، واحتمال اختفاء الكثير من الجزر الجميلة المأهولة والسواحل البحريّة الجذّابة المأهولة أيضًا.

وطبق هذه النظريّة، فإنّه لا بدّ من حفظ التوازن الأرضيّ أو ما نسمّيه (البيئة)، حتى تبقى الأرض بألوانها الرائعة الأخّاذة أجمل سيّارة في المنظومة الشمسيّة. فإنّ استعمل الإنسان العلم الحديث لإرضاء طغيانه، فإنّ هذه الوحدة الحيّة، وهي الأرض، ترتدّ عليه بشدّة، وتعاقبه عقابًا شديدًا.

والظواهر الغير الطبيعيّة المعروفة (بانتقام الطبيعة)، كمثل النينو El Niño و النينا La Niña و(ذوبان الجليد) في القطبين، لم توجد إلّا منذ سنوات قليلة، عندما بدأ الإنسان يستغلّ الطبيعة استغلالًا مفرطًا لمصالحه الشخصيّة، وبدأ يتسبّب في تقلّص الغابات وفي انقراض بعض الحيوانات.

وحتى أنّه أفرط في الصناعة، وأفرط في ترشيد نفقاتها، وسبّب بذلك نفايات هائلة من الغازات السامّة المضرّة، بحيث تسبّبت في إيجاد شروخ في طبقة الأوزون في بعض المناطق، وعلى الأخصّ في منطقة القطب، وتسبّبت في ظاهرة ذوبان الجليد وانتفاخ البحار والمحيطات، واحتمال اختفاء مناطق واسعة من اليابسة.

وإذا لم يتوقّف الإنسان عن إفراطه في بغيه وطغيانه واستغلال الطبيعة استغلالًا بشعًا لمنافعه الماديّة البحتة، فإنّ ما نسمّيه (انتقام الطبيعة) لن يتوقّف، ويكون الخاسر في النهاية هو الإنسان ذاته. فإنّ الأرض تصبر عقدًا أو عقدين أو ربّما عقودًا، ولكنّها لا تصبر إلى الأبد، وترتدّ على هذا الإنسان الحديث الطاغي.

وكلّ هذا الجمال الرائع للكرة الأرضيّة إنّما هو بسبب التوازن الأرضي، أو توازن المخلوقات الأرضيّة فيما بينها، من دون إفراط وتفريط من بعض الأجناس على حساب الأجناس الأخرى.

قالوا بأنّ الكرة الأرضيّة كلّها وحدة حيّة واحدة، رغم ما يظهر للعيان من تباين الموجودات التي تعيش فوقها، من مختلف الأجناس البشريّة والحيوانيّة والنباتيّة، والعناصر المختلفة المعروفة التي تشكّل الحالات الجماديّة. وأنّ كلّ هذه الموجودات رغم تباينها الظاهري، إلّا أنّها مكمّلة لبعضها البعض.

ولاحظوا أنّ هذه الموجودات تعيش جميعًا في انسجام هادئ، تفتقر كلّ واحدة منها للآخر. فإنّ افتقد جنس من الأجناس أو تضرّر، كان له أثر سلبيّ على سائر الأجناس.

فكما أنّ مليارات الخلايا في الجسم الإنساني تعمل في نظام رائع، وفي توازن وتنسيق رائعين، حتى يبقى الإنسان حيًّا وسالمًا وصحيحًا، فكذلك المخلوقات الأرضيّة لا بدّ أن تعمل هكذا، حتى تبقى الأرض حيّة وسالمة وصحيحة، تنبض بالشباب والنشاط.

فإنّ أيّ اختلال في نظام البيئة والتوازن الأرضي يخلق ردود فعل قويّة من ناحية الأرض، وهذا الصراع يسبّب الأمراض والأسقام في جسد الأرض، وربما أودى في نهاية المطاف إلى انقراض الأجناس ومنها الجنس البشري.

وفي الحقيقة فإنّ هذه الأجناس المتباينة تشبه المليارات من الخلايا الحيّة في جسم الإنسان، تعيش في انسجام تام رغم تباينها، وتشكّل في آخر المطاف وحدة حيّة أخرى وهو الإنسان.

وتشبه أيضًا مليارات الخلايا الحيّة في جسم الحيوان، تعيش في انسجام تام، وتشكّل في آخر المطاف وحدة حيّة أخرى وهو الحيوان.

وكذلك ملايين الخلايا الحيّة في النبات، وملايين الجزيئات والذرّات في الحالات الجماديّة. وهي أيضًا في آخر المطاف تشكّل وحدة حيّة، وهي النبات والجماد.

علمًا بأنّ الحياة والحركة تسري أيضًا في الحالات الجماديّة، فهي تتشكّل في بنيتها من إلكترونات تدور بسرعة هائلة حول نواتها من البروتونات.

وكذلك الماء في الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات، وحالاته الجامدة من الثلج في القطبين، أو قمم الجبال وغيرها، وأيضًا حالاته الغازيّة من البخار، والتي تملأ الأجواء بالسحب والغيوم.

وتؤكّد هذه النظريّة في توصياتها لبني البشر، المنغمسين في حياة الطمع والبذخ، بأن يحافظوا على النبات والغابات الخضراء، التي تكوّن القسم الأعظم من الكرة الأرضيّة. فإن افتقد شيء منها اختلّ التوازن على سطح الأرض، بتزايد غاز ثاني أكسيد الكربون، وقلّة الأمطار وتناقص الأكسجين وتلوّث الهواء، وهي كلّها لها تأثير سلبيّ على الإنسان وحياته.

وعالم النبات يزخر بالأعشاب الطبيّة، والتي تنفع الإنسان في شفاء أمراضه وأسقامه. أي أنّ الأرض وهي الوحدة الحيّة تستطيع أن تعالج نفسها بنفسها، من أعشابها وعناصرها التي هي جزء منها.

وتؤكّد هذه النظريّة أيضًا في توصياتها على الحفاظ على الأجناس المختلفة، من الحيوانات والطيور وغيرها، والتي انقرضت منها أجناس معيّنة بفعل بني البشر.

فالإنسان أصبح عدوّ بيئته، وأزال الكثير من الغابات، وكثيرًا من المناطق الخضراء من معظم خريطة العالم. ولكن انتقام الطبيعة سوف يردّه إلى صوابه، ويجبره أن يرتدع عن غيّه وطغيانه، وأنّ يغيّر نمط حياته بحيث يتلائم مع الفطرة السليمة ومع الحضارة الإنسانيّة الصحيحة. فإلى ذلك اليوم القريب نبشّر القراء، وعسى أن لا يتعدّى نهاية القرن الحالي - القرن الواحد والعشرين.

واستطعنا أن نستنتج من نظرية جايا GAÏA بأنّ النبات الذي يكوّن القسم الأعظم من الكرة الأرضيّة، وعلى الأخصّ الأعشاب الطبيّة، يستطيع أن يغيّر الخطوط والتجاعيد والمنحنيات النورانيّة في السيّالة المغناطيسيّة للإنسان ، وأن يؤثر فيها تأثيرًا إيجابيًا، ويكون سببًا في شفاء الأمراض والأسقام في الإنسان.

أي أنّ الأرض وهي الوحدة الحيّة تستطيع أن تعالج نفسها بنفسها، بأعشابها وعناصرها التي هي جزء منها. وليس ذلك اليوم ببعيد، اليوم الذي تتغيّر فيه صفحة تاريخ الطبّ، ويسلم الإنسان من شقّ البطون واللحوم والأعضاء التي لها آثار جانبيّة سلبيّة كثيرة.

اليوم الذي يقفز فيه الإنسان قفزات حميدة من معاملته مع جسد الإنسان، الذي هو نسخة من الأصل، إلى معاملته مع الهالة المغناطيسيّة للإنسان، التي هي أصل الإنسان، وإلى التعامل مع الألوان والأنوار في الهالة المغناطيسيّة للإنسان، بدل التعامل مع اللحوم والعظام في أعضاء الجسد الضعيف الهشّ وجوارحه.

# وفيك انطوى العالم الأكبر

يقول نبيّ الله إدريس عليه وعلى نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل الصلوات والسلام والتحيّات في الفصل الثاني:

> فإذا تشوّقتِ يا نفسُ إلى اللذّات والسرور الدائم فانزعي لباسكِ الكدر وتهذّبي من أوزار جسمكِ، وتنقّي من الأشياء المخالفة لجوهركِ. ثمّ صيري إلى عالم اللذّات الحقيقيّة والسرور الدائم، والبسي حُلَلَكِ الذاتيّة، وتصوّري بصوركِ الجوهريّة الدائمة الباقية التي أنتِ مشاهدة لتشكيلاتها ومثالات أنواعها وأنتِ في عالم الكون والفساد.

يا نفسُ ! انزعي لباسكِ الكدر، وخفّفي الحمل، وتخفّفي من علائقكِ بأوزاركِ الماديّة الناسوتيّة، وأبرزي جوهركِ. كنتِ في عالم الوحدة والأنس والسرور في الملأ الأعلى، ثمّ أهبطكِ الله إلى الملأ الأدنى، وعالم الناسوت، لحكمة عظيمة، كي يبلوكم أيّكم أحسن عملًا.

يا نفسُ ! كنتِ في عالم القدس وفي حضرة الأنس بالله، وإنّ آثار الأنس بالله لا زالت باقية فيكِ، ولو لم تكن فيكِ، لما اشتقتِ إلى الحكمة، والتي هي أخبار عالم القدس والأنس بالله، التي كنتِ فيها.

إنّ آثار الأنس بالله باقية فيكِ، رغم أنكِ بالعقل لا تعلمين بأنكِ كنتِ في عالم آخر، في حين من الأحيان، وهو عالم القدس وفي حضرة الأنس.

يا نفسُ ! كنتِ في عالم وحدة الوجود، حيث لا وجود إلّا لله، لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار[1] ، ثمّ نزلتِ إلى هذه الأرض المليئة بنكد العيش والكدورات المخالفة لجوهركِ. يا نفسُ ! أنتِ النور الذي وقع في قفص المادة، فيا ترى متى الخلاص ومتى الفلاح !

أنتِ التي عناك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في مناجاته الشهيرة:

إلهي تَرى حـــالي وَفَقْـــري وَفـــاقَتي وَأَنْـــتَ مُناجـــاتي الخَفِيَّـــةَ تَسْـــمَعُ

يا نفسُ ! أنتِ الفقر المطلق والعجز المطلق والنور الذي انبثق من نور الله، بيد أنّكِ في مقامكِ الحالي لا تدرين ذلك، ولكنكِ تحنّين إليه، وما أعظم من حنين ! وما حنين العبد لربّه إلّا علامة انتمائه لله !

يا نفسُ ! فيكِ انطوى العالم الأكبر، وأنتِ الكتاب المبين، وأنتِ الداء وأنتِ الدواء، وأنتِ المقصود من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث يقول:

دواؤك فيـــــك ومـــــا تشـــــعر ودواؤك منـــــك ومـــــا تبصـــــر
أتحســـب أنـــك جـــرم صـــغير وفيـــك انطـــوى العـــالم الأكـــبر
وأنـــت الكتـــاب المبـــين الـــذي بأحرفـــــه يظهـــــر المضـــــمر

يا نفسُ ! كنتِ مجاورة للملائكة الكرام، ثمّ جئت إلى الأرض وخالطتِ جنود إبليس.

---

[1] قوله سبحانه وتعالى: { يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (سورة غافر الآية ١٦).

يانفسُ ! دواؤكِ العلم الذي هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء. فالتمسي هذا العلم النوراني، حتى تناليه، وتستكتشفي بهذا النور الحقائق الكونيّة النورانيّة الثابتة، أو عالم اللذّات الحقيقيّة والسرور الدائم، أو الصور الجوهريّة الدائمة الباقية !

يا نفسُ ! انظري مليًّا في أعماقكِ. إنّ فيكِ حاجة فطريّة ملحّة للسعادة والخلود، وضعها الله عزّ وجلّ فيكِ، وجعل فيكِ الأدوات اللازمة لتحقيقها. فاعملي جاهدة كادحة للرجوع إلى عالم القدس وفي حضرة الأنس بالله، وإلى عالم وحدة الوجود، حيث لا وجود إلّا لله، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[1] . فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول[2] : { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ } (سورة الإنْشقاق ٦).

ولا يتحقق لك ذلك إلا بالدخول في السير والسلوك ، وتحقيق النفس المطمئنة أولا ، والتي هي السعادة والطمأنينة الثابتة التي لا تتغيّر ، وتحقيق الخلود ثانيا في جنات النعيم ، حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة الفجر[3] : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي }.

---

[1] سورة غافر الآية ١٦.

[2] سورة الإنْشقاق ٦.

[3] سورة الفجر الآيات ٢٧ – ٣٠.

# النفس المطمئنة الخالدة

[1] يقول السيّد حسين العالم قدّس سرّه:

> أنّ هناك طائفة من الناس شملتهم نظر العناية، ولا زالت تشملهم، فآثار الأنس بالله لا زالت باقية فيهم، رغم أنّهم بعقلهم لا يعلمون بأنّهم كانوا في عالم آخر، في حين من الأحيان، وهو عالم القدس وفي حضرة الأنس.

وإذا كان هناك مثل هذه الطائفة من الناس، كما يقوله السيّد، وهم بالتحقيق هناك، وبأعداد لا يستهان بهم، فأنا أخاطب هذه الطائفة. فاعلم يا عزيزي بأنّ عالم القدس وفي حضرة الأنس، الذي كنت فيه، لا يمكن الوصول إليه بواسطة العقل. فإنّ العقل المادي الذي تتمتّع به، هو لدفع الضرر وجلب المنفعة، في هذه الدنيا، وليس معيارًا وميزانًا ثابتًا تكتشف به عوالم الغيب. فإنّ كشف عوالم الغيب له معيار وميزان آخر في وجودك وفي أعماق نفسك، ألا هو حقيقة الوجدان النورانيّة.

فإنّك تكتشف موطنك الأصلي في وحدة الوجود، وفي عالم القدس وفي حضرة الأنس، حينما تستقر في (أنا) أو حقيقة الوجدان النورانيّة، ألا هو الرّوح الذي هو من الله وقد نفخه فيك، وهو المعيار الثابت الذي لا يتغيّر، الذي تكتشف به عوالم الغيب. فلأنه روح من الله، فهو ثابت لا يتغيّر، وهو الجزء من الحقيقة العظمى. وهذا الجزء الذي هو فيك، تكتشف به الله سبحانه وتعالى وتتعرّف عليه. وبمعرفة الله، التي هي أوّل الدين، كما يقوله إمامنا ومقتدانا عليّ عليه السلام، تستكتشف آفاق الدين وعوالم الغيب.

---

[1] من كتابي (قدوة الفقهاء والعارفين).

وحينما تستقرّ في وجدانك، تعلم مدى قوّة انتمائك إلى الوجود الباقي الذي لا يفنى، وإلى عالم القدس الذي كنت فيه. وتعلم مدى قوّة انتمائك إلى حضرة الأنس والسرور والسعادة المطلقة. وآثارها قويّة فيك، وهي الحاجة الملحّة التي تشعر بها إلى السعادة وإلى البقاء والخلود. فانظر مليًّا في نفسك، أما ترى هاتين الحاجتين مترسّختين فيك، بحيث أنّ مساعيك كلّها متوجّهة إلى تحقيقهما ؟

فإنّك ترى بوضوح بأنّي لا أعاملك بالبراهين الفلسفيّة، ولا بالاستدلالات الذهنيّة، فإنّ الذهنيّات لا توصلك إلى الحقيقة العظمى الثابتة. والذي يوصلك إليها هو (الرّوح الذي هو منه وقد نفخه فيك)، وهو نور الله الذي يسطع فيك.

فإذا اكتشفته فهو كما ذكره النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: <<العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء>>. فاكتشف في نفسك هذا العلم النوراني، حتى تستكتشف الحقائق الكونيّة النورانيّة الثابتة، أو عالم اللذّات الحقيقيّة والسرور الدائم ، أو الصور الجوهريّة الدائمة الباقية ! كما يقول نبيّ الله إدريس عليه السلام.

فلقد قلت لك بأنّ مساعيك كلّها متوجّهة إلى تحقيق السعادة والبقاء. ألا ترى أنّك لا تحبّ الشقاء، وتحاول في كلّ مساعيك تحاشي الشقاء وتحقيق السعادة ؟ ألا ترى أنّك البتّة لا تحبّ الموت، وتحاول في كلّ مساعيك تحاشي الموت وتحقيق البقاء ؟

ففي كلّ محاولة من محاولاتك، تحاشيت الشقاء وحقّقت سعادة نسبيّة، ثمّ انقلب السحر على الساحر، وتحوّلت السعادة النسبيّة إلى شقاء. وحاولت مرّة ثانية دفع الشقاء عنك وتحقيق السعادة، ثمّ اكتشفت بأنّها سعادة نسبيّة، تتحوّل مرّة أخرى إلى شقاء. ثمّ حاولت مرّات ومرّات، وفي كلّ مرّة تكتشف بأنّ السعادة التي حقّقتها نسبيّة، تتحوّل مرّة أخرى إلى شقاء.

فلنضرب مثلًا أنّك، في مقتبل العمر، تتمنّى وتقول: "لو كان عندي عمل يدرّ عليّ دخلًا، لكنت أسعد الناس". ثمّ تحصل على العمل والدخل، ولكن ذلك لا يحقق لك الرضا كاملًا. فتتمنى

وتقول: "لو كانت عندي سيّارة، لكنت أسعد الناس". ثمّ تكتشف بعد هنيهة أنّ ذلك لم يحقق رضاك كاملًا. فتتمنى وتقول: "لو كانت لي زوجة، لكنت أسعد الناس". ثمّ تحصل على زوجة، وبعد هنيهة تكتشف بأنّها لا تحقق رضاك كاملًا، إن كانت زوجة طيّبة. أمّا إذا كانت زوجة سيّئة سليطة اللسان، فتكتشف بأنّك حصلت على الشقاء بدل السعادة.

ثمّ تتمنى وتقول: "لوكان عندي منزل أملكه، لكنت أسعد الناس". فتبذل مجهودات جبّارة للحصول على قرض مصرفي لشراء منزل. ثمّ تكتشف بعد هنيهة أنّ ذلك لم يحقّق رضاك كاملًا. وهلمّ جرًّا ... تبرز حاجات ماديّة أخرى، وتحسب أنّ تحقيقها يوصلك إلى السعادة. ولكنّك في نهاية المطاف، تكتشف بأنّ إرضاء الحوائج الماديّة لا يوصلك إلى السعادة المطلقة والنفس المطمئنّة الراضية المرضية. وتتمنّى لو كنت طيرًا حتى تنفلت من الشقاء، وتحصل على ضالتك المنشودة !!!

مــرت بِنَــا سحــرًا طــير فَقلــت لَهَــا  طـــوباك ياليتـــني إياك طـــوباك

**وسؤالي الآن: هل حاجتك إلى السعادة المطلقة والنفس المطمئنّة الراضية المرضيّة قد جُعلت فيك عبثًا، وأن تحقيقها من المستحيلات ؟ وهل يمكن أن يودع الله فيك حاجة، ثمّ يجعل تحقيقها مستحيلًا عليك ؟ بالله عليك فكّر في هذا، ولا تكن من الكافرين !**

ثمّ إنّك لا تحب الموت، أليس كذلك ؟ ثمّ إنّك تحسّ في نفسك حاجة ملحّة للبقاء، وتقول: "لو أنّي بقيت مخلّدًا ولم أمت، لكنت أسعد الناس". ثمّ إنّك تحاول جهدك لإطالة عمرك قدر المستطاع، وتلتجئ إلى الطبيب لشفاء أمراضك. لماذا ؟ حتى لا تموت بسبب ذلك المرض. ثمّ إنّك تستعمل أساليب وقائيّة لدفع الأمراض عنك، وتسمّيها الوعي الصحي. لماذا ؟ حتى لا تبتلى بالأمراض، وتموت في إثرها.

ثمّ إنّك إذا حدث لك أن ابتليت بمرض، استعملت أدوية لشفاء ذلك المرض. لماذا ؟ حتى لا تموت بسبب ذلك المرض. وإذا كان مرضك لا شفاء له، استعملت الدواء على الدوام، كحبوب الكولسترول وضغط الدم والسكري وغيرها من الأمراض. لماذا ؟ حتى لا تموت، وحتى تستطيع إطالة عمرك قدر المستطاع.

ولو اكتشف علاج للموت، واستطاع الطبّ أن يخترع دواء لإطالة العمر، لهرع الناس كلّهم إلى استعماله بدون استثناء، طلبًا للبقاء والخلود.

أمّا إذا تحقّق ذلك، وطالت أعمار الأبدان إلى الأبد، لامتلأت البسيطة بالمعمّرين الذين حصلوا على العمر الخالد. وطفحت الأرض بأعدادهم الهائلة، وقلّ الغذاء والماء لاستمراريّة بقائهم، ودفع الموت.

وعانت الأجيال الناشئة معاناة عظيمة، فلا ماء ولا غذاء ولا قدرة على تنظيم الإقتصاد العالمي ودفع الموت. ونتيجة لذلك تموت الأجيال القديمة والأجيال الناشئة معًا، من المجاعة أو سوء التغذية، بسبب قلّة الغذاء وقلّة الماء. فقد استجرت بالخلود المادي أو خلود الأبدان، فرارًا من الموت، فماذا حصل ؟؟؟

المستجير بعمرو عند كربته  كالمستجير من الرمضاء بالنار

**فسؤالي الآن: هل يمكن أن تكون في نفسك هذه الحاجة الملحّة للبقاء والخلود، ثمّ لا يمكن تحقيقها ؟ هل من الممكن أن يودع الله فيك هذه الحاجة الملحّة للبقاء والخلود، ثمّ يجعل تحقيقها من المستحيلات ؟ بالله عليك فكّر مليًّا في ذلك، ولا تكن من الكافرين !!!**

**إذن أين يقع تحقيق السعادة المطلقة والنفس المطمئنّة الراضية المرضيّة ؟ وأين يقع تحقيق البقاء والخلود للجنس البشري ؟**

# يا نفس لماذا أفسدتك الدنيا

يا نفسُ ! أقرب أيامك إلى عالم القدس وفي حضرة الأنس بالله هي طفولتك البريئة. أما تتذكّرينها ! هي ليست عنك ببعيدة. حيث كانت البراءة والسعادة والمرح والسرور وخفّة المؤونة. كنتِ أقرب إلى فطرتك الصافية وجوهركِ النقيّ.

أو كنتِ تحملين هموم الدنيا وغمومها وأنت طفل صغير ! كلّا والله، إذن ماذا دهاكِ الآن !

كنتِ واثقة بالله، لا تظنّين به سوءًا أبدًا، ولا تخافين خذلان الله إياكِ.

كنتِ في ظلمة البطن وفي ظلمة الرحم وفي ظلمة المشيمة، فوفّاك الله رزقه في جوف ظلمة البطن.

وعندما خرجت من ظلمة البطن وقعت في اللبن، لا تخطين إليه بقدم، ولا ساق، ولا تتناولينه بيد، ولا تنهضين إليه بقوّة، بل يكره اللبن إليك إكراهًا، ويوجر إيجارًا، حتى ينبت عليه لحمكِ ودمكِ.

وعندما ارتفعتِ عن اللبن حصلت الطعام من أبويكِ، يكسبان عليكِ من حلال وحرام. فإن ماتا عطف عليكِ الناس، وهذا يطعمكِ، وهذا يسقيكِ، وهذا يأويكِ، وهذا يكسوكِ.

فلما استويتِ واشتدّ ساعدكِ خشيتِ أن لا ترزقين ! فتثبين على الناس، وتخونين أماناتهم، وتسرقين أمتعتهم، وتغصبين أموالهم، مخافة خذلان الله تعالى إياك[1] .

---

[1] من كلام عيسى عليه السلام.

يا نفسُ ! تذكّري كيف كنت تعفين عن نظائرِكِ من الأطفال بكلّ سهولة، سواء ظلموكِ أو لم يظلموكِ ! وكيف كنتِ تحسنين إلى من أساء إليكِ من الأطفال ! وكيف كنتِ لا تعرفين ما هو الحقد والكراهية ! وكيف كنتِ بريئة وعلى فطرتكِ الصافية وجوهركِ النقيّ ! وكيف كنتِ أنتِ بذاتكِ في حُلَلَكِ الذاتيّة ! لماذا أفسدتكِ الدنيا وحشرتكِ مع الظالمين !!!

كنتِ تبكين بكلّ سهولة، كنتِ تحبّين الحنان، وتغدقين الحنان على غيركِ بكلّ سهولة، كنتِ تلعبين بكلّ براءة، لا عداوة بينكِ وبين قرنائك من الأطفال.

وطفولتكِ ما هي إلّا نموذج صغير من هويّتكِ الذاتيّة السعيدة البريئة المحبّة الودودة. كنتِ هكذا في فطرتكِ الأصليّة وجوهركِ النقيّ الصافي. وقد ألبستكِ الدنيا الآن حُلَلًا كدرة.

يا نفسُ ! أو ما تحنّين إلى أيام البرائة والطفولة الساذجة ! أتعجّب كيف تريدين الشقاء ولا تريدين العافية والسعادة ! أتعجّب كيف تخشين أن لا ترزقي ! أتعجّب كيف تثبين على الناس، وتخونين أماناتهم، وتسرقين أمتعتهم، وتغصبين أموالهم، وأتعجّب كيف تخافين خذلان الله تعالى إياك!

يا نفسُ ! أقبلي على اللذّات الحقيقيّة والسرور الدائم. إنّها فيكِ في فطرتكِ، لا تبحثي عنها خارجكِ، فليس خارجكِ شيء غير السراب والأوهام. الحقيقة العظمى والكنز الإلهيّ في وجودك ! فاعرفيه واستكشفيه !

لقد فعلها عليّ عليه السلام حيث قال: <<رأيته فعرفته فعبدته>>. أين أنتِ يا نفسُ ! من هذه الكنوز ؟ قومي وانهضي ولا تتهاوني فتخسري الدنيا والآخرة. كوني نفسكِ كوني ذاتكِ، لا تقلّدي الآخرين. إلى اليوم لم تكوني ذاتكِ، ولكنّكِ كنتِ تقلّدين الآخرين.

يقول الله تعالى[1] : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا }. ويقول الله سبحانه[2] : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }.

يا نفسُ ! كلام الله دائم مستديم وكلماته لا تنفد. وهو يكلّم البشر دائمًا أبدًا لم يتوقّف عن الكلام لحظة، فهو يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، ويقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولا يضمر، يحبّ ويرضى من غير رقّة، ويبغض ويغضب من غير مشقّة، يقول لمن أراد كونه: كن فيكون ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع ، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه.

يا نفسُ ! تهذّبي من أوزار الدنيا. استثمري هذه الفترة القصيرة من عمرك في استكشاف الجوهر الربّاني الذي فيكِ، فلا تفوتنّك هذه الفرصة الثمينة التي هي فرصة الدنيا، والتي هي مزرعة الآخرة.

يا نفسُ ! أهمّيّة الدين هو بسبب معرفة الله جلّ وعلا، ولن تناليها يا نفسُ ! إلّا بمعرفة النفس وخباياها وأسرارها، وأنا معك يا نفسُ ! أرشدك في هذا الطريق الوعر، وأضع النقاط على الحروف، وأدلّك على عيوبكِ، التي تحجبكِ عن الله وقربه وزلفاه.

---

[1] سورة الكهف ١٠٩.

[2] سورة الشورى ٥١.

يا نفسُ ! إنّكِ لم تخلقي عبثًا ولم ترسلي هملًا، استفتحي الله واستنجحيه واستمنحيه، فما بينك وبينه حجاب، ولا يثلمه[1] عطاء، ولا ينقصه حباء. بذله وعطاؤه وجوده وكرمه لا نهاية له. وكلّ هذا فيكِ، لا في غيركِ، فاستكشفيه يا نفسُ !

هو الجوهر وهو الملأ الأعلى وهو الدائم الباقي، وكلّ شيء غيره مظاهر وتجلّيات ليس إلّا، أراد أن يتجلّى فقال كن فكان.

شاء أن يوجد المظاهر المشهودة المحسوسة الملموسة، فكانت. وليس بينها وبينه فرق، اللهم إلّا أنّ الله هو جوهرها، وأنّ الإنسان لا يرى الله، ولكنّه يرى المظاهر المشهودة المحسوسة الملموسة، ويحسّها ويلمسها. وفي الحقيقة فإنّ الله تعالى أوجد المظاهر، وخلق الخلق لكي يعرف.

هو الذي لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، ولم يلد فيكون مولودًا، ولم يولد فيصير محدودًا، جلّ عن اتّخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواسّ فتحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه، ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدّل في الأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض. ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج.

يا نفسُ ! لا تكثري الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله ، قاسية قلوبهم، ولكن لا يعلمون. لا تنظري إلى عيوب الناس، ولكن انظري في خلاص نفسكِ ، فإنّما أنتِ عبدة مملوكة.

---

[1] ولا ينقص ماله عطاء.

يا نفسُ ! انفذي ببصركِ إلى أعماق الوجود، ولا تنشغلي بالمظاهر فتنسي المظهر الذي أظهرها وخلقها، ولا تنشغلي بالعطايا فتنسي المعطي الذي وهب وأعطى، وعلّم عباده المقرّبين البرّ والإحسان والبذل والعطاء.

يا نفسُ ! اسمعي قصّة هوشع في الفصل التالي، كي تتفجّر في وجودكِ فيوضات عطاء الله وكرمه وجوده التي لا تنتهي.

# هوشع وكتاب موسى

[1] أمّا هوشع فقد كان أميرًا على قبيلة نفتالي، وكان عمره ١٤ عامًا، حينما ذهب لعبادة ربّه. فباع إرثه ووزّعه على الفقراء، ثمّ ذهب إلى نبيّ الله حاغاي، كي يكون مريده.

وكان هوشع متحمّسًا للخيرات، بحيث أنّه إذا سأله أحد شيئًا، كان يحسن إليه قائلًا: هذا ما أعطانيه ربّي من أجلك يا أخي، لذا تقبّله مني ! ولهذا السبب لم يبق له إلا ملبسان فقط: معطف من خيش وعباءة من جلد، لأنّه باع إرثه وأعطاه للفقراء، وإلّا كيف يُقال عنه أنّه فريسيّ !

كان لدى هوشع كتاب موسى، الذي كان يقرأه باهتمام عظيم. وفي يوم من الأيام سأله نبيّ الله حاغاي: يا هوشع من أخذ منك كلّ ما كنت تملكه ؟ فأجاب: كتاب موسى !

واتفق أنّ مريدًا لأحد الأنبياء المجاورين، اشتاق إلى الذهاب إلى أورشليم، ولكنّه لم يكن عنده عباءة. وكان قد سمع عن إحسان هوشع، فذهب ليقابله. وحينما لقيه قال له: يا أخي أنا أشتاق إلى الذهاب إلى أورشليم، لأقدّم قربانًا إلى الله، ولكني لا أملك عباءة، ولذلك لا أعرف ماذا أصنع.

وعندما سمع هوشع ذلك قال له: يا أخي سامحني، لأنّي اقترفت ذنبًا كبيرًا في حقّك، لأنّ الله كان قد أعطاني عباءة، كي أعطيها لك، بيد أنّي نسيت. لذلك تقبّل مني هذه العباءة وادع لي. وصدّق الرجل ذلك، وقبل عباءة هوشع، وغادر إلى أورشليم. وعندما ذهب هوشع إلى بيت حاغاي قال له حاغاي: من أخذ منك عباءتك ؟ فأجاب هوشع: كتاب موسى.

وفرح حاغاي بذلك فرحًا عظيمًا، لأنّه أدرك طيبة هوشع.

---

[1] من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام.

واتفق أنّ قطّاع الطرق جرّدوا إنسانًا فقيرًا من ملابسه وتركوه عريانًا. وعندما رآه هوشع، خلع معطفه وأعطاه للإنسان الفقير العريان. وبقي هو نفسه بقطعة صغيرة من جلد الشاة تغطّي عورته. ولما انقطع عن زيارة حاغاي، فكّر حاغاي الطيّب بأنّ هوشع مريض. فذهب مع اثنين من مريديه لعيادته، وفوجئوا بأنّ هوشع مغطّى بأوراق النخيل. فقال حاغاي: لماذا لا تزورني ؟

أجاب هوشع: كتاب موسى أخذ مني معطفي، وخفت أن أزورك بدون معطف. فأعطاه حاغاي معطفًا آخر.

واتفق أنّ شابًا رأى هوشع يقرأ كتاب موسى فبكى قائلًا: يا ليت عندي كتاب وأتعلّم القراءة ! فلما سمع هوشع ذلك أعطاه الكتاب قائلًا: يا أخي هذا الكتاب لك، لأنّ الله أعطاني إياه، كي أعطيه للذي يبكي متمنّيًا كتابًا. فصدّقه الشاب وقبل الكتاب.

وكان هناك مريد لحاغاي يعيش قريبًا من هوشع. فأراد يومًا أن يتأكّد إن كان كتابه قد كتب بدقّة، فذهب إلى هوشع وقال له: يا أخي خذ كتابك، ودعنا نقارن ونرى، إن كان كتابي قد كتب بدقّة.

أجاب هوشع: إنّ كتابي قد أخذ مني.

فقال المريد: من الذي أخذ منك الكتاب ؟

أجاب هوشع: كتاب موسى أخذ مني كتاب موسى !

فلما سمع المريد ذلك، ذهب إلى حاغاي وقال له: إنّ هوشع قد صار مجنونًا لأنّه يقول: كتاب موسى أخذ مني كتاب موسى !

فأجاب حاغاي: يا أخي يا ليتني كنت مجنونًا مثله، ويا ليت المجانين كانوا مثل هوشع !!!!!

وحينما أغار لصوص سوريون على أرض يهودا، اختطفوا شابًا هو ابن لأرملة فقيرة، التي كانت تعيش في شغف العيش، على سفح جبل كارمل، حيث يعيش الأنبياء والفريسيّون. واتفق أنّ هوشع ذهب إلى هناك، لقطع الحطب، ولقي المرأة وهي تبكي. فغدا يبكي ... لأنّه إذا رأى أحدًا يضحك ضحك، وإذا رأى أحدًا يبكي بكى. ثمّ سألها هوشع يستفسر عن سبب بكائها، فروت له القصّة.

فقال لها هوشع: تعالي يا أختي، إنّ الله يريد أن يهبك ولدك.

وانطلقا إلى الخليل، حيث باع هوشع نفسه، ودفع النقود إلى الأرملة التي قبلتها، لأنّها لم تكن تعرف من أين أتى بهذه النقود، ثمّ دفعت النقود إلى خاطف ولدها، وخلّصته واستردّته.

وذهب الذي شرى هوشع به إلى أورشليم، حيث كان يقيم، وهو لا يعرف من هو هوشع.

فافتقده حاغاي، وتضايق كثيرًا، وصار محزونًا مهمومًا مغمومًا. فأخبره ملك من السماء كيف أخذ به كعبد إلى أورشليم. وحينما سمع حاغاي ذلك، بكى لافتقاده، كما تبكي المرأة لافتقاد ولدها. فذهب إلى أورشليم، مع اثنين من مريديه، ورآه على مدخل المدينة، بقدرة الله عزّ وجلّ، وهو محمّل بالخبز، يحمله لعمّال يعملون في مزرعة الكرمة لسيّده.

فقال له: يا ولدي لماذا تركت والدك العجوز، الذي يبحث عنك محزونًا نادبًا ناحيًا عليك ؟

فأجاب هوشع: يا أبتاه لقد باعوني كعبد.

فاستشاط حاغاي غضبًا وصرخ قائلًا: من هو هذا الشخص السيّئ الذي باعك كعبد ؟

فأجاب هوشع: الله يسامحك يا أبتاه، لأنّ الذي باعني هو الطيّب، الذي لو لم يوجد في هذا العالم، لما كان هناك أحد من القدّيسين.

فقال له حاغاي: بالله عليك من هو هذا الشخص ؟

فأجاب هوشع: يا أبتاه إنّه كتاب موسى !!!!!!

فبقي نبيّ الله حاغاي الطيّب حيرانًا مبهوتًا وقال: يا ولدي ليتني باعني كتاب موسى أيضًا، وجميع ولدي، كما باعك !

وانطلق حاغاي مع هوشع إلى بيت سيّد هوشع، الذي قام وجرى حين رأى نبيّ الله حاغاي، ووقع على يديه يقبّلهما وقال: تبارك الله ربّ العالمين، الذي بعث بنبيّه إلى بيتي !

فقال حاغاي: يا أخي قبّل يدي عبدك، الذي شريته، لأنّه أفضل مني. فقصّ عليه كلّ ما جرى، فقام السيّد وأعطى هوشع حريّته.

# الكون وحدة حيّة

شاءت الإرادة أن توجد ظاهرتها المشهودة المحسوسة الملموسة، وكانت هذه الظاهرة هي القبّة الزرقاء الحيّة، أو الكون الحيّ بكلّ عناصره التي تشكل هذه الوحدة الحيّة. وليس بين هذه الوحدة الحيّة وبين الإرادة التي أوجدتها فرق، اللهم إلّا أنّ الإرادة جوهرها، وأنّ الإنسان لا يرى الإرادة ولا يلمسها، ولكنّه يرى الكون المشهود المحسوس الملموس ويحسّه ويلمسه. وفي الحقيقة فإنّ الإرادة أوجدت حياة أو وحدة حيّة تسمّى الكون.

لقد لاحظنا في فصل سابق أنّ الكرة الأرضيّة تترائى وحدة حيّة بالنسبة لروّاد الفضاء الذين راقبوها من ارتفاع شاهق، رغم تكاثر الأجناس والأنواع التي تعيش عليها، ورغم الفروقات الصارخة والتباينات الواضحة فيما بينها.

إنّ وحدة الكرة الأرضيّة، ووحدة الإنسان، ووحدة الكون، رغم التكاثر الموجود فيها، إنّما مثلها كمثل أوتار القيثارة يقوم كلّ واحد منها وحده، ولكنّها جميعًا تخرج نغمًا واحدًا.

وأيضًا الإنسان يترائى وحدة حيّة بالنسبة لنا، رغم وجود ملايين الملايين من الخلايا فيه، ورغم وجود ملايين الملايين من الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم، ورغم وجود الكثرة من الأعضاء والجوارح والأعصاب والعضلات فيه.

إنّ القرآن الكريم هو خطاب الله عزّ وجلّ إلى مخلوقاته، إلّا سورة واحدة وهي سورة الفاتحة ـ التي نكرّرها في كلّ صلاة ـ فهي السورة الوحيدة التي نخاطب الله فيها. وعندما نقول: وعندما نقول[1] : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }، فإنّما نقرّ بعبادة واستعانة مليارات الخلايا

[1] سورة الفاتحة ٥ - ٦.

فينا، ونطلب الهداية لمليارات الخلايا فينا. كذلك نقرّ بعبادة واستعانة ملايين الملايين من الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم فينا، والكثرة من الأعضاء والجوارح والأعصاب والعضلات فينا، ونطلب الهداية لها جميعًا. وباختصار فإنّنا نقرّ بعبادة واستعانة كلّ ذرّات وجودنا بل كلّ وجودنا، ونطلب الهداية لكلّ ذرّات وجودنا بل لكلّ وجودنا.

علمًا بأنّ الخليّة الواحدة وحدة حيّة، وأنّ الخلايا هي اللبنات الأساسيّة لحياتنا، ونعتمد عليها أساسًا في كلّ الوظائف التي نؤدّيها. وأنّ البكتريا الواحدة (بدائيّة النواة) وحدة حيّة أيضًا، وأنّ خلاياها صغيرة وتنقصها النواة، في حين أن حامضها النووي DNA (دي إن إيه) يأخذ شكل جزيء مستقل دائري ومكشوف داخل سيتوبلازم الخليّة. بينما الخلايا النباتية والحيوانية وخلايا الإنسان (حقيقيّات النوى) تمتاز بحجم أكبر، وبأنّ لها أغشية وعضيّات متعددة ومتخصّصة، وأن أكبر عضيّاتها هو النواة التي تحوي المادة الجينيّة والبروتينات النوويّة [1].

كذلك الكون هو وحدة حيّة بالنسبة لمن سبر أغوارها، رغم تكاثر المجرّات والنجوم والكواكب وغيرها. **وأكرّر إنّه وحدة وإنّه حيّة.**

**نحن ننادي بالحقيقة الواقعة بأنّ الكون عائلة واحدة، وأن كلّ ما يحدث فيه هو بإرادة واحدة، وأنّ هذه الإرادة حكيمة، لأنّنا ننشد أسباب حدوثها في قوانين فيزيائنا أو نقول باحتمال وجود قانون فيزيائي خاصّ بها، بمعنى أنّ الشيء يحدث في إطار الحكمة ولا يحدث أي شيء عشوائيًّا.**

إنّ بين العالم المادي ـ المرئي بالعين المجرّدة ـ والرّوح المجرّد أو الإرادة المحضة التي تجلّت في الخلق والإنسان والأكوان، وهي جوهرها، إنّ بينهما طبقات مختلفة يمكن أن يكتشفها العلم، أو أنّه بالأحرى قد اكتشف بعضها فعلًا بالأدوات المتاحة، والأجهزة المكبّرة أو ما يسمّونها بالمجاهر الدقيقة أو

[1] كتاب (ما هو سرّ الحياة) للمؤلف صفحات ٤٢-٤٣.

التلسكوبات العملاقة، التي تحمل معها الكاميرات، أو الأجهزة المصوّرة التي تصوّر الأجسام والأشكال والألوان في فضاء الأثير، بعيدًا عن الأرض وعن تلوّثات الغبار وذرّات الهواء، وتلوّثات أخرى ناجمة عن جوّ الأرض. وأخرى تصوّر الأشعّة السينيّة X ray، وأخرى تصوّر أشعّة جاما Gamma-ray، وأخرى تصوّر الهالات المغناطيسيّة، مثل كاميرا ميمي MIMI المركّبة على السفينة الفضائية كاسيني Cassini.

ففي أواخر عام ٢٠٠٠ صوّرت كاميرا السفينة الفضائيّة كاسيني Cassini **الأشياء الغير المرئيّة** خلال دورانها حول كوكب المشتري. فقد نشرت مجلّة الفضاء الأمريكيّة المؤرخة ٢٠٠١/١/٢٥ تحت عنوان: "كاميرا السفينة الفضائية كاسيني Cassini **ترى غير المرئيّات** خلال دورانها حول كوكب المشتري".

فقد تمكّن الإنسان من تصوير الكرة المغناطيسيّة لكوكب المشتري ـ الغير المرئيّة ـ وذلك بواسطة جهاز خاصّ يسمّى (جهاز تصوير الكرة المغناطيسيّة)، أو اختصارًا باللغة الإنكليزيّة ميمي MIMI [1].

إنّ هذا الإنجاز العملاق لم يأت من فراغ، وأن مشروع كاسيني Cassini الضخم كلّف ناسا NASA حوالي ثلاث مليارات ونصف دولار أمريكي (٣/٥ مليار دولار أمريكي). ولقد قال أحد العلماء الكبار المسؤول عن هذا الجهاز يسمّى (كري مي جيس): لقد استطعنا **أن ننظر إلى غير المرئيّات** خلال جهاز ميمي MIMI .

ولقد صوّرت هذه الهالة المغناطيسيّة من مسافة حوالي عشر ملايين كيلومتر (١٠ مليون كيلومتر) من كوكب المشتري. واستطاعت ميمي MIMI أن تأخذ صورًا من الكرة العظيمة المليئة بالطاقة وعناصر الهيدروجين والأوكسجين والكبريت وأكسيد الكبريت. وبتجهيز الفيلم المتحرّك من

[1] كتاب (ما هو سرّ الحياة) للمؤلف صفحات ١١-١٤.

هذه الصور سيكون في إمكاننا رؤية تحرّكات الانقباض والتمدّد في الكرة المغناطيسيّة، التي تحدثها الضغوط الجبّارة للرياح الشمسيّة.

وإذا أضفنا إلى هذه الصور القياسات العديدة التي سجّلتها كاميرا ميمي MIMI ، فسوف يكون بإمكاننا رؤية التركيبات الكيماويّة لعناصر الكرة، بالإضافة إلى رؤية أشكال وديناميكيّات الكرة المغناطيسيّة. ويعتقد أنّ هذه العناصر تأتي إليها من براكين قمر المشتري، فتقع في مصيدة المغناطيس، حيث تكتسب الطاقة وتجري بسرعة هائلة داخل الكرة.

وهنالك تصطدم بعناصر أخرى تزوّدها بالإلكترونات، فتتّحد معها وتصبح محايدة، ومن ثمّ تستطيع الهروب من الكرة المغناطيسيّة. وهذه العناصر المحايدة الهاربة تكتشفها كاميرا ميمي MIMI.

وأيضًا اكتشفت كاميرا ميمي MIMI سحابة كثيفة من عناصر الأوكسجين والصوديوم والكبريت والبوتاسيوم وأكسيد الكبريت، وهي تلتفّ حول كوكب المشتري إلى مسافة اثنين وعشرين مليون كيلومتر (٢٢ مليون كيلومتر)، ويعتقد أنّها غازات براكين قمر المشتري، التي استطاعت الهروب من الكرة المغناطيسيّة للمشتري، ومن ثمّ حملت بواسطة الرياح الشمسيّة إلى هذه المسافات الشاسعة.

وأيضا اكتشفت كاميرا ميمي MIMI الإلكترونات الدائرة في فلك الميدان المغناطيسي داخل الكرة المغناطيسيّة للمشتري، الذي يصل قطره إلى ١٤٣ ألف كيلومتر. والآن تجري أجهزة سفينة فضاء كاسيني Cassini قياساتها لحدود الذيل المغناطيسي لكوكب المشتري، والذي يصل طوله إلى ٣٠ مليون كيلومتر من الكوكب.

ويصفون هذه الكرة المغناطيسيّة بأنّها "فقاعة من العناصر المليئة بالطاقة" احتجزت داخل البيئة المغناطيسيّة للكوكب. والعناصر السريعة الحركة التي تدخل هذه الفقاعة تلتقط الإلكترونات وتتّحد معها، فتصبح عناصر محايدة، ومن ثمّ تنفلت من الميدان المغناطيسي للمشتري، هاربة بمعدّلات سرعات هائلة تصل إلى الآلاف من الكيلومترات في كلّ ثانية.

وكاميرا ميمي MIMI تبني الصورة المغناطيسيّة من هذه العناصر المحايدة التي تصل إلى السفينة الفضائيّة، كما تبني الكاميرا العاديّة الصورة العاديّة من وحدات (فوتونات) الضوء التي تصل إليها.

إنّ بين العالم المادي والرّوح المجرّد (أو الإرادة المحضة التي تجلّت في الخلق والإنسان والأكوان، وهي جوهرها)، طبقات مختلفة بعضها تتعلّق بالعالم المادي بيد أنّها لا ترى، ويمكن تسمية بعضها كالتالي:-

أ ـ الجيوش الجرّارة من الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم، التي تتعلّق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد وتقبع فيها، أو التي تستهدفها من الخارج (وكلّها لا تراها العين المجرّدة).

ب ـ مجال الطاقة الكهرومغناطيسيّة أو أمواج النور التي تتكوّن من التالي: ـ

١ ـ أمواج الراديو وهي ضعيفة جدًّا في الطاقة، وأمواجها أطول من الأشعّة ما دون الحمراء.

٢ ـ أشعّة ما دون الحمراء، وأمواجها أطول من اللون الأحمر.

٣ ـ الإشعاع الكهرومغناطيسي المرئي، وهي الأمواج التي تراها العين المجرّدة. ونراها على شكل ألوان قوس قزح، تبدأ من اللون الأحمر وتنتهي باللون البنفسجي.

٤ ـ أشعّة ما فوق البنفسجيّة، وأموجها أقصر من اللون البنفسجي.

٥ ـ الأشعّة السينيّة ، وهي أمواج ذات طاقة عالية وقصيرة جدًّا. أمواجها أقصر من الأشعّة ما فوق البنفسجيّة وأطول من أشعّة جاما.

٦ ـ أشعّة جاما وهي ذات طاقة أعلى من كلّ الطاقات، وأمواجها أقصر من كلّ الأمواج في مجال الإشعاع الكهرومغناطيسي.

ج ـ الأشعّة الكونيّة.

والبعض الآخر يتعلّق بشريحة أعلى قليلًا من العالم المادي ويسمّى بميدان الطاقة، ويمكن تسمية بعضها كالتالي: ـ

أ ـ قوّة الجاذبيّة.

ب ـ قوّة تماسك نواة الذرّة.

ج ـ قوّة تنافر إلكترون الذرّة.

**ولكن هذا كلّه لا يزال ينتمي إلى العالم المادي. والعالم المادي كلّه يشكّل ٤ بالمائة من الكون فقط لا غير.** ومعظم هذا الأربع بالمائة غير مرئي ولا زال مجهولًا لهذا الإنسان المتقدّم المتحضّر. فالذي يعرفه منه لا يتعدّى حفنة من الرمل في يد طفل صغير، يلعب على ساحل البحر، في حين أنّ أمامه خضمّ من المجهولات التي لا يعرف عنها شيئًا، كما قال العالم الفلكي الإنكليزي المشهور إسحاق نيوتن Newton ، مكتشف قانون الجاذبيّة، في أواخر أيامه.

أمّا الذي يقع حقيقة بين العالم المادي (الذي يشمل ما ذكرناه إلى الآن) وبين الرّوح المجرّد فهو المادة الداكنة التي هي عبارة عن البرازخ الحقيقيّة التي تقع بيننا وبين الرّوح. وهي من ضمن ٩٦ بالمائة من الكون.

أمّا ٩٦ بالمائة من الكون، فهي تتشكّل من المادة الداكنة، حوالي ٢٣ بالمائة ـ ولا يمكن أن ترى ، لا بالعين المجرّدة ولا بالأدوات البشريّة المتقدّمة ـ والطاقة الداكنة حوالي ٧٣ بالمائة ـ ولا يمكن أن ترى

أيضًا، لا بالعين المجرّدة ولا بالأدوات البشريّة المتقدّمة ـ وكلاهما غير مشهودة وغير ملموسة وغير محسوسة. إلّا أنّ العلم افترضها لعدم قوام الاكتشافات الحديثة الجبّارة بدونها. ويمكن أن يكتشفها العلم في المستقبل ويشاهدها ويلمسها ويحسّها بطريقة ما غير مباشرة.

أو بعبارة أخرى، تصوّر أنّك في مكتبك، جالس على كرسيّ، وأمامك جهاز الحاسوب على طاولة خاصّة، وأمامك كتب وأوراق مبعثرة، وعلى يمينك جهاز التلفزيون، وعلى يسارك مكتبتك الزاخرة بالكتب والأوراق، وعلى يسارك أيضًا كنبايات ومنضدة، وأمامك وخلفك وعلى يسارك جدران سميكة، وخلفك أيضًا باب من خشب، وعلى يمينك نافذة كبيرة معظمها من الزجاج ولكن يوجد فيها المنيوم وغيرها.

وفي الفراغ الذي حولك توجد جيوش جرّارة وهي ملايين الملايين من الميكروبات والبكتريا والفيروسات والجراثيم، وتوجد في جسمك جيوش جرّارة وهي ملايين الملايين من الخلايا.

وتوجد حواليك أمواج الراديو، والأشعّة الكونيّة، وقوّة الجاذبيّة، وأشعّة ما دون الحمراء، وأشعّة ما فوق البنفسجيّة، والأشعّة السينيّة، وأشعّة جاما، وأشعّة بيتا وغيرها.

**إنّها جميعها تشكّل فقط ٤ بالمائة من فراغ مكتبتك.**

أمّا ٢٣ بالمائة من هذا الفراغ فهي المادة الداكنة، والتي لا تراها ولن تراها قط. والباقي ٧٣ بالمائة من هذا الفراغ فهي القوة الداكنة، والتي أيضًا لا تراها ولن تراها قط.

أمّا الإرادة المحضة أو الرّوح المجرّد الذي يتجلّى في الخلق والإنسان والأكوان في ظهور صارخ، ولكنّه خاف عن أعيننا، وهو في الحقيقة جوهرها جميعًا، فلا مجال للعلم للوصول إليه. فهو يتجلّى لبصيرة الإيمان فقط !

فهذه البصيرة لا ترى غيره، وتبهت أمامه الأكوان، وتصير الجبال دكًّا دكًّا. وبصيرة الإيمان ترى الملك والملائكة صفًّا صفًّا، وترى تجلّيات الكمال والجمال والجلال لله الواحد ذي الجلال والإكرام. كما ذكر الله مخاطبًا موسى عليه السلام[1] : { وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا }.

**ولكن هذه الإرادة المحضة تستتر عن ظلمات الذهن وأعين الظاهر الخاوي من الإيمان. فلا مجال للأجهزة البشريّة للوصول إليها، إلّا إذا تحرّكت بصيرة الإيمان في العلماء الماديين، وهي جهاز ربّاني كامن في الإنسان ذاته. وحينذاك يمكن رؤيته.**

[1] سورة الأَعراف الآية ١٤٣,

بحقّ أقول لكم إنّ قلوبكم بحيث تكون
كنوزكم وكذلك الناس يحبّون أموالهم وتتوق
إليها أنفسهم فضعوا كنوزكم في السماء
حيث لا يأكلها السوس ولا ينالها اللصوص

حقوق النشر محفوظة للمؤلف
www.taqimusawi.com